«كيف كنّا كيف أصبحنا وكيف الأمس ساءْ»
هذه مصرُ وفرعون بها كيف يشاءْ
دولة الزور وقـــد دامتْ فَيَـا مُرّ البقـاءْ

*** الليث الهصور الشيخ محمود عبدالوهاب فايد شيخ الجمعية الشرعية وأستاذ الحديث:**

بطل الإسلام الذي هدر بالحق وصدع به في عهد الملكية وفي عهد الرؤساء الثلاثة لا يشاركه غيره في هذه الجرأة والغيرة على دين اللَّه.

❑ كتبت عنه «مجلة التحرير» في العدد (١٨٥) عام ١٩٥٦م بعد تخرجه من كلية أصول الدين بعشر سنوات: «إنه مناكف قديم... كان الأول عند تخرجه في الأزهر، وكان المتبع أن يُدعى الأوائل من الناجحين في كل سنة إلى حفلة يحضرها الملك السابق، ويصافح فيها المتخرجين، وأُعطيتْ الأوامر إلى الجميع بأن ينحنوا عند مصافحته، ولكن الشيخ العنيد أبى أن ينحني، وصافح مولانا وهو منتصب القامة رافع الرأس... وبسبب ذلك صدر الأمر بتعيينه في سوهاج بخلاف ما جرى عليه العرف في تعيين الأولين في القاهرة».

أجل إنه الشيخ العنيد... الذي طالما جرّ عليه عناده وصراحته الأهوال وهو ثابت على ما يُؤمن أنه الحق، لا يحني لباغٍ رأسًا، ولا يغضّ عن ظالم طرفًا، ومن أجل ذلك كان نصيبه من البلاء في عهد أصحاب (التحرير) أضعاف ما لقيه في ظل الملك الغرّير»[1].

❑ ولنترك المجال للشيخ المجذوب يقص علينا هو والشيخ فايد حديث الصدع بالحق.

*** معركة لا تنسى:**

وهنا يجد الشيخ مجال الحديث متسعًا فيتحفنا بما لذ وطاب عن

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» (٢/ ٣٥٣).

الأحداث التي عاصرها ولابسها، وقد ركز بوجه خاص على معركته مع الشيخ عبدالرحمن تاج شيخ الأزهر السابق، وأحسن في ذلك؛ لأنه يتيح لنا من خلال هذه المعركة أن ندرس الكثير من الأوضاع التي رافقت عهد الإرهاب والكبت، فكان في هذه المعركة متنفس لغير واحد من هؤلاء الذين فرض عليهم الصمت بإزاء الأهوال التي كانت تنيخ على صدور الناس.

كان عنوان المقال الذي افتتحت به المعركة قذيفة ذات رءوس متعددة. إنه «باسم اللَّه واللَّه أكبر، فليستقل شيخ الأزهر» إنه إعلان حرب لا يراد لها أن تخمد إلا باستقالة شيخ الأزهر، ولم يذكر الشيخ أين نشر المقال، ولكن نرجح نشره في مجلة «الاعتصام» التي كانت أحد المنافذ الصغيرة التي تركتها السياسة الثورية متنفسًا لأهل الإسلام.

*** باسم اللَّه واللَّه أكبر.. فليستقل شيخ الأزهر**[1] :

«نكتب هذا المقال ونحن نوقن أن مصر التي حررت من الذل والضعف والعبودية تأبى أن يفرض عليها إنسان أيًّا كان هذا الإنسان حتى رئيس الجمهورية لا يستطيع أن يتولى منصب الرياسة إلا بعد أن يعرض صحيفة أعماله على الأمة وبعد أن ينال رضاها والوزراء لا بقاء لهم إلا إذا حازوا ثقة الشعب ممثلاً في مجلسه.

بهذه الروح رأينًا أن ننصح لأستاذنا الأكبر بأن يستقيل خصوصًا بعد أن أعلن الأزهريون سخطهم عليه في بيان مطبوع وبعد أن استعرضوا صحيفة أعماله فلم يجدوا فيها خيرًا للإسلام أو للأزهر ونحن نأسف إذ يتجاهل فضيلته هذا البيان ويضطرنا إلى هذا الموقف منه خاصة في هذه الظروف العصيبة التي يمر بها الوطن غير أن مصلحة الوطن ـ كما نعتقد ـ توجب أن يكون الأزهر قويًّا ملحوظًا بالعناية حتى يؤدي رسالته تامة في مصر والعالم الإسلامي وهي أيضًا تقضي بأن تكون مصالح الدولة في أتم انسجام وأن

(١) نُشر بالاعتصام ربيع أول ١٣٧٦هـ.

يقصي عنها عوامل الضعف ويقدر ما يواجه الوطن من أزمات بقدر ما تكون حاجته أشد إلى القوة وإلي الأقوياء حتى يجد كل ما يحتاج إليه على خير ما يبغي وحتى يمكن له أن يواجه خصومه في قوة وثبات وينجو من الأخطار التي يتعرض لها، ولهذا تكد الدولة في هذه الأونة وتعمل ليل نهار لتستكمل ما بها من نقص في كل مرافقها، وتعالج ما لديها من ضعف في جميع نواحيها، ولتتجه بكل قوتها إلى العدو المتربص بها، فمعذرة إذا نحن كتبنا في قضية الأزهر ورغبنا في أن نعالج النقص فيه بجانب ما كتبناه وما نكتبه في قضية (تأميم القناة) التي تشغلنا جميعًا ورأيي أن الجسم يكون أقدر على المقاومة إذا كانت كل أعضائه سليمة وقوية والأزهر اليوم مصاب بالجمود والشلل في ظل شيخه الحالي فلا بد له من شيخ جديد يعالجه ويداويه ويبعث فيه النشاط والحركة ليكون أقوى على خدمة الوطن وأسرع إلى تلبية رغباته ـ ولا يمكن أن تخدم قضية القنال بتعطيل مصالح الدولة وتعريضها للزوال بل تخدم بإصلاحها وحثها على السير والأخذ بيدها وتقويتها، والسعي لمضاعفة إنتاجها. وهذا هو ما نريده ونبغيه، وندعو إليه ونكتب فيه.

عندما أردت أن أكتب هذه الكلمة ساق القدر إلي عددًا من صحيفة الأهرام صدر يوم ١٩٥٤/٩/٢٨ وفيه عمل خالد ومسعى حميد لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج. رأيت من الإنصاف أن أشير إليه في مستهل هذه الكلمة حتى لا أغبن فضيلته ولا أغمطه حقه. قالت صحيفة الأهرام في ص(٧) «قصد فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر إلى وزارة الشئون الاجتماعية وتحدث إلى بعض كبار المسئولين فيها عن بعض العادات والمهن الشاذة التي يحترفها ويعيش عليها آلاف من الناس في القاهرة والمدن الكبرى وسائر أنحاء الريف وذكرت الجريدة أن فضيلته أفاض في بيان خطر (القرداتي وضاربة الودع) وطالب بوضع قانون يحمي المجتمع من هذه الشرور.

هذه المهمة التي ذهب إليها فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالرحمن تاج مهمة جليلة يستحق عليها الشكر فقد أثبت فضيلته للعالم أجمع أن له همة عالية، ويقظة دائمة تحول بينه وبين أن يدع توافه الأمور لأحد من الناس كائنًا من كان فهو لهذا يهتم بصغار المسائل ويشغل فراغه بها، ولا يرضى أن يعهد بها إلى رجل كمدير الوعظ؛ لأن فضيلته يحفظ من الصغر هذا البيت:

ما حك جلدك مثل ظفرك فتـــول أنت جميع أمـرك

نحن لا نجادل في أن واجب الأستاذ الأكبر أن يهتم بكل ما يجري حوله حتى صغار الأمور ولكننا نرى أنه لا يصح بحال ما أن تشغله الصغار عن الكبار إلا إذا كان فضيلته يريد أن يتهرب ويتلهى ويملأ فراغه بشيء ليكتب اسمه في سجل العاملين.

كان في استطاعة الأستاذ الأكبر أن يعهد في حرب القرداتية إلى مدير الوعظ وأن يكل إليه وهو مسئول كبير أن يقابل أمثاله من كبار المسئولين في الوزارة، وأن يتفرغ أستاذنا ـ حفظه اللَّه ـ لما هو أهم رأفة بنفسه وحرصًا على وقته الثمين، وقديمًا قيل: «العظائم للعظام».

كان هناك واجبان في عنق أستاذنا الأكبر على درجة قصوى من الأهمية أحدهما يحتمه عليه كشيخ للإسلام والآخر يوجبه عليه الأزهر كرئيس له آلت أموره إليه ولم نسمع عن فضيلته أنه أدى واجبه في شيء منهما كما أداه بالتمام والكمال مع القرداتية وضاربات الودع، بل لقد لاذ فضيلته بالصمت، وتحصن بالسكوت ولم يأبه لغضب المسلمين عليه بسبب تقصيره «في حق الإسلام» ولم يأبه لغضب الأزهريين عليه بسبب تفريطه في حقوق الأزهر. نعم. لقد ظهرت دعوة الوجوديين في الصحف وأخذ دعاتها ينفثون سمومهم في المجتمع وكتبوا علانية بأسمائهم الصريحة «الدين خرافة، اللَّه أكذوبة،

افتحوا بيوت الدعارة سأعلم ابنتي كيف تكون فاجرة»[١] .

سأعلم ابنتي كيف تكون فاجرة كتبوا هذا وأكثر منه وحضوا على نبذ الأديان عامة ودعوا إلى التحلل الخلقي وتواصوا بالرذائل وتآمروا على الفضائل، فعلوا هذا ولم نسمع أن فضيلته قصد إلى الوزارات ليتحدث إلى كبار المسئولين عن خطر هؤلاء الوجوديين كما فعل فضيلته مع القرداتية وضاربات الودع، لم نسمع أن فضيلته طالب بوضع قانون يحمي المجتمع من خطر هذه المبادئ الهدامة كما طالب فضيلته بوضع قانون يحمي المجتمع خطر هذه المهن الشاذة لا أدري لماذا بدت غيرته وأخذه الحماس ووافته الشجاعة فقام يصارع القرداتية ويؤلب عليهم الجهات الرسمية ثم لماذا انتهى حماسه وخارت قواه ففر من الميدان واختفى من وجه الوجوديين.

لقد كان واجبًا على فضيلته أن يصدر بيانًا يعلن فيه حكم الإسلام على هؤلاء كما فعل مع غيرهم، وكان واجبًا عليه بعد أن أيقظته الحوادث ونبهه المولى وأقام عليه الحجة وهيأ له الفرصة أن يطلب لربه ودينه وأن يسد هذه الثغرات إبراء لذمته وحماية لأمته كان عليه هذا لكن فضيلته لم يفعل ولم يحاول ولم يسمعنا صوته بل على العكس أضاع الفرصة، وقال للناس هذا الكلام المملول الذي اعتاد أن يقوله دائمًا في مناسبة وغير مناسبة، قال لهم: «ليس في الإمكان أبدع مما كان» وتنحى فضيلته عن المعركة التي تدور بين المؤمنين والملحدين ولم يشارك فيها حتى بالنصح فلم ينصح للوجوديين بأن يثوبوا إلى رشدهم، ويعودوا إلى ربهم ولم ينصح لولاة الأمور بمقاومتهم والضرب على أيديهم، وترك قاسم جوده ولم يجبه حين دعاه ـ على صحيفة الجمهورية[٢] بأن يعاون في حل هذه المشكلة، وآثر أن يتبع هذه الحكمة «إن

(١) الجمهورية ـ الجمعة ١٦/٩/١٩٥٥م ص(١٠).

(٢) نقل في الجمهورية ١٦/٩/١٩٥٥ كلامًا في غاية القبح والإلحاد نسبته إلى أسماء صريحة دون مبالاة.

وإن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» نعم. من ذهب؛ لأنه يأتيه بالمرتب الشهري ويدر عليه مئات الجنيهات.

أي أستاذي الأكبر... عفا اللَّه عنك لم قصرت في أداء هذا الواجب الديني فلم تعلن حكم اللَّه في هؤلاء الملاحدة، ولم تستعد الحكومة على هؤلاء الخوارج الذين خرجوا على الإسلام والمسلمين بل خرجوا على الأديان والمتدينين. لم لا تقول في هؤلاء: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣].

* ألا تحفظ قول اللَّه تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ لقد أوجب اللَّه علينا ضمانًا للربح أن نقول كلمة الحق ونتواصى بها ونصبر على الأذى من أجلها ودون ذلك يصاب الإنسان بالخسران المبين وينال غضب اللَّه وملائكته والناس أجمعين.

أي أستاذي الأكبر... لقد فاتك هذا الواجب كشيخ للإسلام ووارث للرسول ﷺ، فانظر معي هل أديت واجبك كرئيس للأزهر أو فاتك هذا أيضًا؟ لقد كانت براعة الاستهلال في هذا العام أن توقع ـ لا شلت يداك ـ قرارًا بإلغاء بعض المعاهد الثانوية[1] النظامية الناشئة، وأن تفرق ـ جمع اللَّه

(١) في أخبار الجمعة ٧/٩/١٩٥٦م ص(١٥)، وأهل الفيوم يشكون لأن إدارة الأزهر قررت إلغاء القسم الثانوي بمعهد الفيوم وتحويل طلبته إلى القاهرة ويقولون إن هذا القرار بعث الهم والحزن إلى مئات البيوت من أولياء أمور هؤلاء الطلبة، وترك مئات الطلبة حيارى ومنهم من فقد نعمة الإبصار؛ لأنهم واثقون بأن أولياء أمورهم لن يستطعوا الإنفاق عليهم في القاهرة، ومعنى ذلك تشريدهم وضياع ما بذلوه من جهد وضنى في التعليم الابتدائي وهم يستحلفون ولاة الأمور بالقرآن الكريم وبرسالة الأزهر الشريف أن يرجعوا عن هذا

شملك ـ جميع طلابها إلى جهات نائية، دون أن تجد في نفسك إحساسًا بالمتاعب والمشاق التي يتكبدها الطلاب، وجلهم من العجزة والمكفوفين والفقراء والمستضعفين ولا أدري... كيف رضيت نفسك الأمارة بالخير بأن توقع على قرار كهذا تزيل به هذه المعاهد ولم ترض بأن توقع على عريضة استقالة لتزول أنت ـ يا سيدي ـ عنها... لعلك أردت أن تستعجل الخطوة الثانية فمهدت لها بهذا القرار ليتم في عهدك إلغاء المعاهد[1] الدينية ـ كما تم من قبل إلغاء المحاكم الشرعية ـ أو لعلك أردت ـ وقد شاهدت مئات المدارس تبنى كل عام ـ أن تقول فلم يجرؤ قلبك ولم يطاوعك لسانك «تقتير هنا وإسراف هناك» أو لعلك أعجبت بهذا الشاعر الذي يقول:

إذا أنت لم تنفـــع فضر فإنما ... يرجى الفتى كيما يضر وينفع

لقد استقال سلفك العظيم فضيلة الخضر حسين ـ بعد أن كتب بحروف من نور على قلب كل أزهري الحكمة المأثورة: «إن لم يزد الأزهر في عهدي فلا ينتقص منه، والأزهر أمانة في يدي يلزمني أن أسلمه كما أخذته».. فماذا فعلت بهذه الأمانة بعد أن آلت إليك؟؟! إن الأزهر يا سيدي له حقوق وخصائص... أما حقوقه فلم ينل منها شيئًا في عهدك على الرغم من أنها حقوق عدالة، فهي لا تخرج عن المساواة بوزارة التربية والتعليم... ومن الظلم البين أن يتخرج أستاذان من معهد واحد أحدهما نابغة تعين في الأزهر والآخر دونه تعين في الوزارة فيكون النابغة ملفوظًا ويكون زميله الأدنى ملحوظًا.. إن الدستور الجديد ضمن تكافؤ الفرص والعدالة الاجتماعية،

= القرار... فلعلهم فاعلون»... وما جرى لمعهد الفيوم جرى لمعاهد أخرى في الوجه البحري.

(١) في مجلة التقوى ص(٢) من صفر ١٣٧٦ أنه تم في هذا العام إغلاق كثير من مكاتب تحفيظ القرآن وهي المورد الذي يمد الأزهر بالطلاب فهل تحرك الأستاذ الأكبر؟.

فكيف تفسر لنا تجميد الأزهريين في الوضع الذي كانوا عليه منذ أربع سنوات.. على حين نرى وزارة التربية والتعليم تغدق على أبنائها الدرجات والعلاوات حتى أصبح التلميذ في الوزارة سابقًا لأستاذه في الأزهر... ثم كيف تفسر لنا هذا المستقبل المظلم الذي ينتظر العالم الأزهري بعد تخرجه؟ توصد في وجهه أبواب المصالح والوزارات فإذا وصل إلى الأزهر وهو والده الذي رباه والذي كان ينتظر منه العطف والتقدير إذا وصل إليه وجد في استقباله هذا الإعلان الطريف ونتطوع بنشره هنا نقلاً عن جريدة الشعب ٥٦/٨/١٥ من غير انتظار أجرة للنشر: «قررت مشيخة الأزهر تعيين مدرسين مؤقتين بالمعاهد الدينية من حملة إجازة التدريس بمكافأة شهرية قدرها خمسة عشر جنيها لمدة سنة قابلة للتجديد».

شكرًا لك يا سيدي.. فقد عز عليك أن تظفر بدرجات[1] تعين فيها مدرسين يسدون حاجة الأزهر فلجأت إلى هذه الحيلة الطريفة، وأخذت بهذه الفتوى اللطيفة وصار التعيين في الأزهر ـ وفي الأزهر وحده على ما أظن ـ بعقد «كونتراتو» قابل للتجديد وقابل للفسخ ولمدة محدودة أقصاها سنة، وتلك بدعة مستحسنة حدثت في عهدكم الميمون ولك الفخر... ومن حقك اليوم أن تباهي شيوخ الأزهر السابقين بهذه الأيادي المشكورة، والمناقب المأثورة، والحسنات الكثيرة، وأن تقول لهم في صوت جهوري:

وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

هذه إحدى مآثركم ـ وأعمالكم كلها مآثر ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فاغتنم من الأزهريين على ما قدمت وما ينتظر أن تقدمه لو بقيت دعاء لا ينقطع، وثناء لا ينتهي.

---

(١) في مجلة التحرير ٥٦/٨/٢٨ الصفحة الخامسة ما نصه: «لم تتضمن ميزانية الأزهر هذا العام أية درجة جديدة سوى ٦٥ ألف جنيه لوظائف جديدة بإدارة البعوث الإسلامية».

وبعد... فلا أسألك عن خصائص الأزهر من المكافآت[1] المرصودة التي فقدها الطلاب هذا العام ببركة إخلاصكم ولا عن سن الإحالة الذي نقص خمس سنوات من يمن طالعك، ولا عن جماعة كبار العلماء التي حلت تيمنًا بقدومكم، ولا عن أزمة المدرسين التي استحكمت كل الاستحكام في عهدكم ولا عن أقسام تخصص القضاء الشرعي والتدريس والوعظ التي بارت وزالت في أيامكم... بل لا أسألك تصحيح الوضع الذي جئت عليه فتطلب لنفسك مرسومًا كمديري المصالح الصغيرة بدلاً من قرار مجلس الوزراء الذي تم به تعيينكم... لا أسألك خيرًا لنفسك ولا لغيرك، ولا أطلب منك أن تلج أبواب الوزارات اهتمامًا بالأزهر كما ولجتها من قبل اهتمامًا بالقرداتية.. لكني أسألك باللَّه أن تضع عن كاهلك هذا الحمل، وأن تكتفي بما نلت من مكاسب، وما أصاب الأزهر من خسائر، وما حل بالمسلمين من ضعف.. أسألك باللَّه أن تخلو بنفسك، وتتخلص من شياطينك وتستعرض ما وصل إليه الأزهر من سوء وما بلغه من هوان وأنا واثق كل الثقة أن ضميرك الحي لا بد أن يستحثك للاستقالة ويحتمها عليك، ليأتي من بعدك من يقدر على النهوض بالأزهر ويوفيه حقه كاملاً غير منقوص، وأملي ـ وقد لمس العالم ضعفك ـ أن تكون عبرة لمن خلفك، فلا يتكالب الأزهريون على هذا المنصب ولا يسعون إليه في الخفاء، ولا يتقبله منهم إلا صالح مصلح، حازم غيور، عالم متين، قوي أمين، يبلغ الرسالة، ويؤدي الأمانة، يعلن كلمة الإسلام، ويعمل لصالح الأزهر، ويعرف كيف يحافظ على كرامته.. وينتقم اللَّه ممن يطيل محنة الأزهر فيتقبل هذا المنصب

(١) في جريدة الشعب ٥٦/٧/٨ ما نصه: «تضمنت الميزانية الجديدة للأزهر إلغاء المكافآت الشهرية التي كانت تصرف لطلبة الأزهر على أن ينفذ ذلك على الطلبة الجدد في العام الدراسي المقبل».

وهو يحس في نفسه العجز عن النهوض بأعبائه، والقيام بواجباته.

هذه نصيحتي لأستاذنا الشيخ عبدالرحمن تاج وهي نصيحة تريحه منا وتريحنا منه.. وقد قصدت بها وجه اللَّه وصلاح حال الأزهر فإني أخشى لو بقي فضيلته أن يفقد الأزهر كل شيء حتى اسمه، وإني لأعيذه باللَّه أن يؤثر لنفسه البقاء وللأزهر الفناء... فليستقل فضيلته على بركة اللَّه، وليحقق أملنا ولو مرة، وهو أمل وقع عليه من قبل عشرات كبار العلماء من أساتذة الكليات في بيان مطبوع، فإن استجاب فضيلته لنا وقدم استقالته على الفور فقد أحسن اللَّه له الخاتمة ورضي عنه.. وإن قال ـ كما تشيع بطانته التي أرقت النيابة من التحقيق ـ «إني باق في منصبي لن أتزحزح ولن أزحزح.. وما أنا بمتزحزح ولا مزحزح، ولا مستجيب لمن يقول تزحزح».. قلنا له وتلونا عليه الآية الكريمة: ﴿**فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ثم تلونا على إخواننا من العلماء الآية التي تليها: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وطلبنا منهم أن يصبروا ويتقوا ويتوكلوا على اللَّه وحده ليتحقق عَجَزُ الآية: ﴿**وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٦]. ولتصدق فيهم الأخرى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق: ٢، ٣]»[1].

وسرعان ما انتشر دوي القذيفة، فإذا هو يهز الأزهر كله، فيقابله الكثرة من الأزهريين بكل مظاهر الرضى والتأييد، إذ وجدوا فيه تعبيراً عن رأيهم في الموضوع المثار. ومن هنا جاء نقله إلى معهد قنا، ثم وقف راتبه وإحالته إلى

(١) «صيحة الحق» ص(٤٠٥ ـ ٥١١).

مجلس للتأديب، ألف بسرعة من الشيخ الحسيني سلطان وكيل الأزهر رئيسًا، والشيخ عبداللطيف السبكي عضو يمين، ثم تبع ذلك قرار جمهوري من قِبل الرئيس بتعيين الدكتور مصطفى الحفناوي لعضوية اليسار.

ولما انتشر الخبر تطوع بعض المحامين لاحتلال مقاعد الدفاع. ويسمي الشيخ من هؤلاء الأساتذة سليمان العقاد، وعبدالحميد عبدالمقصود، ومحمد عيسى عطية خميس.

* **انتصار:**

وفي اليوم الذي عُين للجسلة الأولى حضر الشيخ مع محاميه، فأصروا على ما كتب، وأثبت في المحضر أن راتبه قد قطع قبل أن يُدان. وطلب المحامون تأجيل الجلسة للاطلاع، ولمس المحامون ما ينتويه رئيس المجلس، فتباحثوا في الأمر وعلموا من الشيخ ما سبق أن كتبه عن هذا الرجل في مقال كشف عواره، وطالب بتعزيره؛ لأنه نسب إلى الرسول ﷺ ما لم يقله. وفي الجلسة التالية أجمع المحامون على مطالبة وكيل الأزهر بالتنحي عن رئاسة المجلس لأسباب لا يريدون الإفصاح عنها حرصًا على كرامته، فرفض مطالبهم إلا بعد إبداء الأسباب، فسجلوا في المحضر نص المقال المشار إليه قائلين: كيف ترأس مجلس تأديب تحاكم فيه رجلاً، طالب بتأديبك لكذبك على رسول الله ﷺ !؟...

وتكهرب الجو وأجلت الجلسة بعد أن سجل المحامون طلبهم في مذكرة خطية. فما كان من فضيلة الوكيل الرئيس إلا أن كتب على ظهر المذكرة حكمًا بفصل الشيخ المتهم قبل انعقاد المجلس! وكان لذلك رد فعل سريع، إذ قابل الدكتور الحفناوي تصرف الرئيس بالاستنكار، ثم أبلغ الخبر رئيس الجمهورية. وشاع النبأ، وأخفقت المحاكمة، وجاء المفاوضون يغرون الشيخ بمختلف العروض مقابل سكوته، فرفض كل عرض، إلا أن يعود مدرسًا كما

كان في معهد منوف، وأن يعود كذلك زملاؤه الذين أيدوه إلى معاهدهم التي نقلوا منها. ولم يلبث المسئولون أن استجابوا لكل هذه المطالب، وخرج الشيخ من المعركة رافع الرأس منتصرًا. وجاء المؤيدون يستقبلونه بالتهاني، وفي مقدمتهم العلامة الدكتور محمد عبدالله دراز ـ رحمه الله ـ الذي تلا على الشيخ قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾.

*** خلفيات المعركة:**

ووجد شاعر الأزهر ـ كما يسميه الشيخ ـ الدكتور حسن جاد أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية، في هذه الأحاديث روافد صالحات لإنشاء مسرحية شعرية صاغها ونشرها في العدد الرابع من مجلة «السيدات المسلمات» عام ١٣٧٦هـ بعنوان «محكمة المجاذيب» وقد رمز فيها إلى الشيخ فايد باسم «عائد» وإلى الأزهر باسم «المعشر».

يقول الشاعر الدكتور على لسان الوكيل الرئيس في تعليله للحكم الذي أصدره على الشيخ فايد:

من حيث إن (عائداً) قد لام شيخ (المعشرِ)
وأعلن الحق جها رًا ونبا بالمنكر
وراح يزري بالنفا ق وهو ليس بالزري
وضاق بالإلحاد والـ ـمجون في تهورِ
وبعد ما تلاه من دفاعه الموقر
فقد رأينا فصله من المحيط المعشري

❑ ثم يقول على لسان الدكتور الحفناوي المستنكر لذلك الحكم:

أجيبوني أليس الدين حقًّا ... فكيف جعلتموه هوى مطاعًا
أيفصل من يقول الحق منكم ... ويكرم من يضيعه ضياعًا
تسابقتم إلى الحكم اعتباطًا ... ودبرتم نهايته سراعًا
وزورُكمُ فلم نسمع عليه ... مداولة ولم نسمع دفاعًا

❑ ثم يتبع ذلك على لسان الشيخ فايد بعد رفضه العروض المغرية:

معاذ اللّه لست أريد جاها ... وليس هوى المناصب من طباعي
فكفوا عن مساومتي بدنيا ... يباع الحق فيها كالمتاع
يمين اللّه لا ألقي سلاحا ... ولست بمغمد يومًا يراعي

وقد اشترك في هذه المعركة أكثر من صحيفة، فمجلة التحرير كتبت عنها في العدد ١٨٥ ـ ١٩٨، وجريدة المساء تناولت الموضوع في ٢٦ يناير ١٩٥٧م، أما مجلة السيدات المسلمات فتابعت القضية في أعدادها الأربعة ربيع الآخر ورجب وشعبان ثم رمضان في عام ١٣٧٦هـ، وكذلك شارك في الموضوع مجلتا صوت الإسلام والاعتصام.

ولا جرم أن اجتماع هذه الصحف كلها، وأولئك المحامين الخمسة، على الخوض في هذه القضية إنما يصور، كما أسلفنا، أوضاعًا نفسية كبر ما يحيط بها من الضغط، فهي تبحث عن منفذ تتنفس منه، فما إن وجدته في هذه القضية حتى اتخذت منها وسيلة للتخفيف مما تعانيه. وكانت القضية جديرة بالاهتمام لأنها تمثل عدوانًا على مؤسسة إسلامية استطاعت أن تحتفظ باستقلالها طوال عشرة قرون، حتى جاءها ذلك الحكم يريد تسخيرها لمآربه، ولو أدى ذلك إلى طعن الإسلام في الصميم. ولقد استطاع ذلك الحكم الرهيب أن يحقق غير قليل من النجاح في هذا المعقل الخالد، باستجراره بعض المسئولين فيه إلى الخضوع لأهوائه، فكان لا بد من رد الفعل الذي

ترجم غضب الجمهور المسلم من أهل العلم على ذلك العدوان وعلى الضالعين معه من المسئولين.

وأخيراً إن في هذه المعركة صورة لا ينبغي أن تنسى من تلك الحقبة التي أُريد بها خنق كل صوت يرتفع بكلمة (لا) ولو أدى ذلك إلى إزهاق الأرواح وإذلال الأمة، ورفع الأبرياء على أعواد المشانق، وشحن السجون بكل كريم من الأطهار الأحرار.

*** كلام دونه السهام:**

والمؤرخ لحياة الشيخ محمود فايد لا يستطيع إغفال شجاعته في مواجهة رئيس المجهورية أثناء أخطر عهوده التي أغلقت الأبصار، وكممت الأفواه، وغلت الأيدي، فلا يجرؤ امرؤ على الإشارة بله الكلمة، إلا إذا كان من المغامرين الذين لا يبالون العواقب، أو المؤمنين الذين لا يرجون لغير ربهم وقاراً.

لقد كشف الرئيس عن نواياه الخفية جميعًا حين أعلن حربه على بقايا النظام الإسلامي في مصر بإلغائه القضاء الشرعي، ومصادرته حقوق الأفراد والجماعات في التملك والكرامة والعدالة وحرية الكلمة... ولم يكن بد للجريح من التأوه، فارتفعت بعض الأصوات الجريئة من أوساط العلماء، تعلن حكم الشريعة في ما يجري من عدوان على مبادئها الأساسية، وتذكّر الرئيس بمسئولياته تجاه الإسلام والشعب الذي يحكمه. وطاش صواب الرجل بإزاء هذه المعارضة، إذ كان يظن ـ ثقة بشهادات من حوله من بطانة الفساد ـ أن الإسلام قد انتهى بمحنة الإخوان المسلمين، فلا موضع لكلمة (لا) أمام كل ما يأتيه وما يذره... وانتهز إحدى المناسبات السياسية فراح يهدد ويوعد، وخص معشر العلماء بدفقة من السباب البليغ. وعلى طريقة الشيوعيين في التهوين من علماء الإسلام، جعل يتهم أصحاب العمائم باستغلال الدين في

سبيل بطونهم وشهواتهم، ولو أدى ذلك بهم إلى بيع الفتاوى بالفراخ. . . دون أن يفرق في هيجته بين الذين ينافقونه والذين يعارضونه من المشايخ.

وكان مستحيلاً على مثل محمود فايد أن يدفن ثورته في قلبه بإزاء ذلك التهجم الضرير فكتب أهم مقالاته ـ كما يقول ـ في نقد ذلك الهذر، وحملت «الاعتصام» ذلك المقال الشافي للصدور في عدد ربيع الأول من عام ١٣٨١هـ.

لقد قدم لمقالته يعرض كلام الرئيس، ثم تجرد للرد عليه بصراحته التي لا يملك عنها انفكاكًا.

قال الشيخ موجهًا كلامه إلى الرجل، الذي نسي، في غمرة الاعتداد بالقوة، مسئوليته كرئيس دولة:

«. . . هنا أحب أن أقف مع الرئيس وقفة قصيرة، ومن حقي أن أقف معه، فقد حدثنا سيادته عن عمر بن الخطاب، وقد حفظنا عن تاريخ عمر أن امرأة استوقفته فوقف، وأطالت معه الحديث، وكان مما قالت: «لقد كنت من قبل عميراً ثم صرت عمر، ثم أصبحت أمير المومنين، فاتق اللَّه وانهج سبيل الحق، فبكى عمر حتى اخضلت لحيته، فقال رفيقه: كفى يا أمة اللَّه، فقد أبكيت أمير المؤمنين. فنهره عمر وقال: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها»، وليسمح لي سيادة الرئيس أن أناقشه، وأرجو ألا أتهم بأني أجير للرجعية، فقد كنت، وأنا من أصحاب العمائم، من أرباب الأقلام المتواضعة، التي لم تدخر وسعًا في محاربة الفساد، في وقت اشتد فيه الضغط واستفحل فيه الاستبداد والإرهاب، وكان نفر من الجيش ومن الجيش وحده هو الذي يحمي حمى الفاروق، وكان نفر من الجيش ومن الجيش وحده هو الذي يأكل على مائدة ولي عهده الطفل والقاهرة تحترق. . . فهل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم، وبجميع اللغات، ومن

رئيس الجمهورية العربية نفسه، مثل هذا الكلام!

لقد فاتك أن تعقب بأن كثيراً من ذوي العمائم كان لهم مواقف كريمة وغيرة مشكورة، وإحساس مرهف... وإنك لتعرف بعضهم، ولبعضهم عليك فضل... ومن فضل اللَّه أن شعبنا فاضل واع ذكي أريب، يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.

وختامًا يكفي العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم ورفع قدرهم وخلد ذكرهم، فقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾، ويكفيهم في المدح والثناء قول أفضل البشر: «**العلماء ورثة الأنبياء**».

* **مناقشة تحليلية:**

وإذا لم يكن بد من التعقيب على هذا البيان المبين فسأكتفي بتوجيه النظر إلى ناحيتين اثنتين منه. أما الأولى فالشجاعة التي تدفع صاحبها إلى المغامرة برأسه في سبيل الحق، الذي أخذ اللَّه العهد على أولي العلم بنصرته... وبخاصة في ظل تسلط يحاسب على الخلجة، ويقتل على الهمسة، ويسجن كبار الرجال من صالحي العلماء مع الكلاب المفترسة في السجن الحربي... ولعمر الحق إن البطل الذي يقتحم صفوف العدو الكمي، ليس أحق بالتقدير من مؤمن يقف أمام سلطان فتاك ليقذف بوجهه كلمة الحق صريحة مجلجلة. ورحم اللَّه شوقيًا الذي يقول:

إن الشجاعة في الرجال مراتب وأجلـهن شـجـاعـة الآراءِ

وأما الثانية ففي تلك الغمزات الجارحات التي يرمي بها مقاتل خصمه فلا يخطئها. أمعن النظر معي في هذه العبارات:

كان نفر من الجيش، والجيش وحده، هو الذي يحمي حمى الفاروق.

وكان نفر من الجيش، والجيش وحده، هو الذي يأكل على مائدة ولي عهده الطفل، والقاهرة تحترق.

وإنك لتعرف بعضهم... ولبعضهم عليك فضل.

إن شعبنا شعب فاضل ذكي... يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.

يكفي العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم و..

ويكفيهم في المدح والثناء قول أفضل البشر «**العلماء ورثة الأنبياء**».

إن هنا لقذائف دونها صواريخ سام وهي تطارد فرائسها بقيادة الرادار.

*** وباء الطغيان:**

ولعمر اللَّه لا أستطيع أن أتصور مدى خيانة الأمة لأمانة اللَّه، لو لم يقيض لها من يحمل عنها عبء التصدي لذلك الطغيان الجارف، فيقول لأصحابه مثل هذه الكلمات التي من شأنها أن تنهنه من سكرة الغرور، وتقيم على المغرورين حجة اللَّه!..

إن الطغيان السياسي كالوباء الزاحف، يبدأ صغيرًا محدودًا، فإذا حوصر بالمحصنات الرادعات تقلص وتلاشى، أما إذا أهمل شأنه وفسح له سبيل التكاثر لم يقف أثره عند حد، ومضى يدمر كل شيء يصادفه، ثم لا يلبث أن تتغلغل عدواه إلى ما حوله ثم ما بعده إلى غير نهاية... وهذا ما حدث للطغيان الكمالي، يوم أقدم الدونمي أتاتورك على تقويض الخلافة ولم يجد قوة تردعه، ولما اطمأن إلى سلامة الطريق انطلق يهدم كل قائم في بناء الإسلام، حتى كاد يأتي عليه من القواعد في تركية المسلمة... ولم يقف شره عند حدود تركية، بل أخذ يتدفق إلى كل مكان من بلاد الإسلام يجد فيه استجابة من المضلِّين والمضلَّين، وليست هذه الفتن ترسل شرورها هنا

وهناك في ربوع الإسلام سوى بعض آثار السكوت على عدوان ذلك الطاغية الدونمي على حرمات الإسلام، وما أظن مؤرخًا حصيفًا يدقق النظر في العلاقة بين هذه الانفجارات الهدامة في ديار المسلمين إلا واجدًا ارتباطها الوثيق بتلك المحنة الكبرى، محنة تقويض الخلافة والعدوان على معالم الإسلام في دولة الخلافة. وهكذا تسري عدوى الوباء، وباء الانتقاض على نظام الإسلام من ثورة إلى ثورة، ومن بلد إلى بلد. وليس مقتل علماء الإسلام حرقًا وهم أحياء في مقديشو بأيدي عصابة الماركسيين في الصومال عام ١٣٩٤هـ إلا واحدة من ثمرات الطغيان الذي ساد أكبر بلد عربي، فمهد ولايزال يمهد الطريق لكل محنة يتعرض لها الإسلام وأهله في الشرق العربي وما حوله. ومن هنا كان لهذه القلة من أحرار مصر الذين نصروا الله بأقلامهم في حدود طاقتهم، فضل الرائد الذي يتقدم القافلة نحو الطريق القويم، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً.

*** نكسات الزيات:**

ثم إن هذه المواجهة بين الرئيس والشيخ لم تكن الوحيدة والأخيرة، وإن كانت أبرز المواجهات وأصرحها، فكل مقالة كتبها بعد تكشف حقيقة المتسلطين، كانت سهامًا مسددة إليهم، وإن لم تذكرهم بأسمائهم؛ لأنه لم يخط سطرًا منها إلا في نصرة الإسلام، وكل انتصار لهذا الدين إنما هو هجوم غير مباشر على أعدائه الهدامين.

ولعل غضب الشيخ على الأستاذ أحمد حسن الزيات ـ في عدد ربيع الأول عام ١٣٨٣ من مجلة الاعتصام ـ لا تنزل عن هذا المستوى الذي طالعناه في حواره للرئيس، بل إنها لامتداد لمضامينه؛ لأنها منصبة على سياسة الرئيس نفسها.

لقد ناء عاتق الأستاذ الزيات تحت أعباء الشيخوخة، فنسي ما ملأ به

رسالته الطيبة الذكر من دعوة إلى الخير والفضائل والدين، بل نسي ما رزأه الحكم من ثروة لا تقدر بمال حين انتزع منه تلك المجلة، التي استمرت سنين طويلة مطمح أبصار الأحرار من عشاق البلاغة والأخلاق... وكان ذلك، ويا للأسف، منذ أقامه ذلك الحكم رئيسًا لتحرير مجلة الأزهر.

أجل، لقد نسي الزيات الشيخ مآثر الزيات الكهل، فسلك إلى مرضاة المتسلطين كل سبيل، حتى لم يتورع أن يتخلى لهم عن دينه، فيصف الوحدة التي ارتجلت ما بين مصر وسورية بأنها خير وأبقى من الوحدة التي بناها محمد رسول اللَّه ﷺ... فكان على كل حر أن يضج من الشتيمة، ويتصدى لهذا الخرفِ المنحرف ليرده إلى الجادة.

وما كان مثل هذا الحدث ليفوت قلم الشيخ محمود، الذي هو أبدًا بالمرصاد لكل متعرض لمعقل الإسلام. وهكذا انطلق يفند ترهات الزيات، ويجلو لعينيه الحق الذي عميتا عنه.

وطبيعي أن الموقف من الحساسية بحيث لا يمكّن من الفصل بين تجديف الخرف المتزلف وسياسة الرئيس المتزلف إليه؛ لأن الموضوع قائم على المقارنة بين سياسة نبوية مخططة من فوق سبع سموات، وسياسة مرسومة في موسكو وواشنطن، ومدعومة بالمهرجين والهتافين والمرتزقة ممن لا يعرفون من حقائق الوحي نقيرًا ولا قطميرًا.

ولم يكن الشيخ بجاهل ما يُعرِّض له نفسه من عواقب هذا المواقف، بل لا مندوحة له من أن يوطن نفسه لمواجهة أسوأ الاحتمالات.

*** نصان منافقان:**

القنابل التي أطلقها الشيخ في وجه الزيات كثيرة وهائلة ومحرقة، ولايغني الاجتزاء ببعض منها عن بعض... وقد أعاد نشرها كاملة في كتابه الأخير «الحق» فليراجعها القارئ هناك إذا شاء. أما هنا فنكتفي من المعركة

التي استغرقت خمسًا وأربعين صفحة من الكتاب، بالفقرات التالية التي يكشف بها الشيخ عن غريزة النفاق في أعماق الزيات.

في أخريات أيام فاروق وبالضبط في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢م كتب الزيات في العدد ٩ من مجلة الأزهر ما نصه:

«بسم اللَّه جل اسمه، وعز حكمه... منزل كتابه هدى، ومرسل رسوله رحمة، وبهدي صاحب الرسالة محمد صلوات اللَّه عليه... لسان الوحي، ومنهاج الشرع، ومعجزة البلاغة... وبعطف صاحب الجلالة الفاروق... ناصر الإسلام، ومؤيد العروبة، وحامي الأزهر، أعز اللَّه نصره، وجمل بالعلوم والآداب عصره...».

يقول الشيخ: هذا نص ما افتتح به الأديب مجلة الأزهر قبل طرد فاروق بشهرين... فننشر إلى جانبه ما افتتح به عدد يوليو من مجلة الأزهر سنة ١٩٦٠م وهو يشيع فاروق نفسه:

«كان ملكًا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو، وكان آية من آيات إبليس في الجرأة على دين اللَّه، وعلى حرم الناس... بلغ من جرأته على اللَّه أنه كان ـ كما حدثني أحد بطانته ـ إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام فصلاها من غير غسل ولا وضوء، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد، وكان يقول: إن أخوف ما أخافه أن يغلبني الضحك وأنا أتابع الإمام في هذه الحركات العجيبة!... وبلغ من جرأته على المحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ويقتل الزوج ويسرق الدولة ويسفه الحق، ويأخذ الرشا... ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقح وطغى...».

وما أحسب ردًا على مثل مفتريات الزيات أقتل ولا أصمى من المقارنة بين هذين النصين من كتابات الزيات في التملق للطاغيتين... أما لماذا كل هذا النفاق... فيقول الشيخ: لقد عاش الزيات هكذا طوال حياته، يكتب ما

يروج، وينشر ما يجلب له النعمة والعافية... وحسبه أنه ظفر في عهد فاروق بلقب «صاحب العزة» وظفر في هذا العهد بأكرم «جائزة»... وقد أصاب الأستاذ أحمد حسين في كلامه عن موقف المترجم من نفاق الزيات إذ قال: «وقاد الشيخ الحملة، وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين... لم يجامل ولم يلاين وإنما وصل إلى حد الهجوم السافر والتحدي لرئيس الدولة نفسه».

*** ونصان مؤمنان:**

وقد سبق أن عرضنا لبعض ما كتبه الشيخ في نقد الظلمة، ونسمح لأنفسنا أن نعرض هنا أيضًا أنموذجين آخرين مما كتبه في كلا العهدين لنرى الفرق بين ما يكتبه أهل الإيمان لوجه الحق، والمتاجرين بالأقلام ابتغاء الرزق.

من مقال نشره الشيخ في عدد «الاعتصام» لشهر إبريل قبل خروج فاروق يقول في وصف واقع المسلمين: «ملوكهم وحكامهم معنيون بمناصبهم، همهم أن تسلم لهم، ولو على أيدي الغاصبين، يسالمون عداهم، ويذلون رعاياهم، يجمعون المال من دم الفلاحين وعرق الكادحين، لينفقوه على ملذاتهم، ويبعثروه على شهواتهم، طورًا ينثرونه على موائد القمار ودور اللهو وكئوس الشراب، وحينًا يبذلونه في مخاصرة النساء، وسماع الغناء، وما تتطلبه الليالي الحمراء... والويل شر الويل لمن تسول له نفسه أن ينكر عليهم، أو يزجي النصح إليهم، فجزاؤه السجن، وإن شئت فقل الإعدام».

وفي «الاعتصام» نفسها يعقب على خطاب الرئيس عبدالناصر الذي ألقاه في الذكرى التاسعة للثورة، وقد جمع الكثير من الغث والسمين، والوعد والوعيد.

يقول الشيخ: «في خطاب الرئيس... فقرات تسترعي النظر، وتثير الانتباه... فقرات تتسم بالصراحة التي تدعو إلى الإعجاب والإكبار... فقرات ينبغي أن نقف عندها، ونتأمل فيها، فهي جديرة بالتفكير

والتقدير. . ».

وبعد أن يعرض الشيخ لبعض مآثر الإسلام في العدالة تذكيراً له بما غاب عنه، يتابع: «تلك صورة جميلة تجعلنا ننكر باسم الإسلام يا سيادة الرئيس هذه الأموال الباهظة التي تنفق في غير موضعها، هذه المكافآت السخية التي تصرف من مال الدولة على الممثلين والممثلات، والراقصين والراقصات، والمغنين والمغنيات. . . قلتَ يا سيادة الرئيس إنك تريد أن تطهر المجتمع من عوامل الحقد والأنانية والفساد والبغضاء. . . ومقتضى هذا المنطق أن تقلم أظافر أولئك المترفين، وتقص أجنحة هؤلاء الذين لا يزالون يعيشون في عالم المريخ، فيثيرون الحقد في نفوس المحرومين، إذ يطلون عليهم من قصور فخمة ويمرون عليهم في عربات ضخمة، تنطلق ـ من فرط السكر ـ بسرعة جنونية تكاد تعصف بهم وتودي بحياتهم».

أجل. . . إنهما نصان يرسمان الصورة المثلى لحملة الأقلام النظيفة التي تتوقع حساب اللَّه على كل نبسة تقولها أو تكتبها، وبهذه الأقلام تفخر الأمم، وتسمو الهمم، وشتان بين هولاء المؤمنين، وأولئك المذبذبين، الذي يصورهم قول الحريري على لسان أحدهم:

أنا الذي تعرفه يا حارثُ حدث ملوك فكهُ مناقثُ
أعمل ما لا تعمل المثالث طوراً أخو جِدٍّ وطوراً عابث
ومخلبي في كل صيد ضابث

وما كان أحوج صاحب «مجتمع الكفاية والعدل. . .» أن يسمع مثل هذا النقد الحار يذكره بواقع (مجتمعه) على لسان القليلين أمثال محمود فايد. . . جزاهم اللَّه عن المظلومين والمحرومين والمضطهدين خير ما يستحقه الأحرار والمجاهدون.

* بعد النكبة:

والحديث عن الأحداث التي عاركها الشيخ سيظل أبتر ما لم يتناول بعض مواقفه التي أعقبت نكبة عام ١٩٦٧م.

كانت تلك الهزيمة مبدأ تحول جديد في حياة مصر، فعلى الرغم من كل التظاهرات التي اصطنعتها مراكز القوى في القاهرة وبيروت وغيرهما، لاستبقاء الرئيس المحطم في مركز القيادة... لم تستطع منع الألسن من الكلام في هذا الموضوع، فانطلقت تعبر عن سخطها على المسئولين عن الكارثة، وتعلن نقدها للعهد كله. وتحركت المراكز الثقافية للإسهام في تحديد التبعات، واستعراض الوسائل الفضلى لمعالجة الواقع الرهيب. وفي إحدى المناسبات المتصلة بموضوع الساعة دعي الشيخ للمحاضرة في جامعة القاهرة وجمعية المحافظة على القرآن، وبصراحته المألوفة مضى في تحديد أبعاد الهزيمة، وتعيين مسئولية الرئيس (...) عنها. ولم يرق ذلك بقية مراكز القوة، التي ما تزال تحيط بالرئيس لدفع النقمة عن نفسها، بوصفها الشريك الأكبر في هذه المسئولية.. فوجدت من مصلحتها تجميد نشاط الشيخ. وهكذا صدر القرار بإحالته إلى الاستيداع، وقد قام بتبليغه ذلك القرار وكيل الأزهر، الذي سارع إلى استخدام الهاتف في ذلك التبليغ، بسبب عطلة يوم رأس السنة الهجرية، وتم تبليغ معهد القاهرة ـ الذي يعمل فيه الشيخ ـ بذلك القرار هاتفيًا أيضًا.

وكان ذلك بمثابة إنذار للشيخ بأنه تحت المراقبة السياسية. وهكذا لزم منزله في رعاية المخابرات التي جعلت ترصد كل حركة منه.

يقول الشيخ: لقد كانت هذه العزلة فرصة ربانية تفرغت فيها لتحقيق بعض الكتب وإنجاز بعض المؤلفات، مما عاد عليه برزق أوسع بكثير من الذي قطع عنه.

وقدم لزيارته أثناء هذه الخلوة المرصودة وكيل الأزهر يومئذ، وشيخه الأكبر هذه الأيام، الدكتور عبدالحليم محمود، ومعه مستشار رئيس الجمهورية الفريق عبدالرحمن أمين، والوزير العراقي السابق اللواء محمود شيث خطاب. وتذاكروا فيما بينهم في وضع الشيخ، ثم اقترحوا عليه أن يقدم التماسًا بالعودة، فامتنع وأصر.

ويروي الفريق عبدالرحمن أمين بمحضر من إدارة الجمعية الشرعية أن الرئيس سأله بعيد صلاة عيد الفطر: «ألا يزال محمود فايد عضوًا في الجمعية الشرعية؟» فيجيب بالإيجاب، ثم يذكر الشيخ بخير، فما كان من سيادة الرئيس إلا أن أشاح بوجهه استنكارًا لذلك الإطراء، ثم سارع إلى مغادرة المسجد وهو يقول متهكمًا: كلهم كذابون وأنت الصادق!».

ولا حاجة إلى التساؤل عن هؤلاء الكذابين الذين تشير إليهم عبارة الرئيس... إنهم بطانة السوء الذين يتوقف بقاؤهم في مراكز التأثير على استبعاد كل عنصر يتوسمون فيه أي ظاهرة من الخير أو الدعوة إلى الخير... وهو واقع يؤكد ما ذهبنا إليه في تعقيبنا على اعترافات توفيق الحكيم التي نشرها بعنوان «عودة الوعي» فناقشناها بالمقال الذي نشرته مجلة «المجتمع» الكويتية تحت عنوان «طغيان فرد أم طغيان عهد».

*** أين المعتبرون:**

وهناك حادثة يحسن ألا يفوتنا ذكرها هنا، ويصفها الشيخ بأنها من الوقائع العجيبة التي مرت به، ذلك أن دولة شيوعية ـ لم يسمها ـ بعثت بفرقة راقصة للترفيه عن المصريين في رمضان ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ورأى المنحرفون أن يعدّ لها مكان في ميدان الجيش لتحيي الخامس والعشرين من رمضان.

وفي حفل عام أقامته الجمعية الشرعية في ذكرى بدر تكلم الشيخ فايد

حول هذه الصفاقة فكان مما قاله: «أخزى اللَّه هؤلاء السفهاء... لقد بلغ بهم السخف أن يحيوا رمضان بالمنكرات... وفي أي مكان؟... في ميدان الحسين بين مسجده وبين إدارة الأزهر ومشيخة الطرق الصوفية!... يا لها من إهانة متعمدة توجه لعمَّار هذه المؤسسات الإسلامية!... يا لها من إهانة توجه إلى شهر القرآن!...».

وكان أحد المسئولين حاضرًا ذلك الحفل فأبلغ النبأ السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية فأصدر أمره بمنع الفرقة من تنفيذ ذلك المنكر.

وقد أثبتنا خبر هذه الرقاعة لما تحمله من خصائص العقلية المادية، التي لا ترى أقدر من الفجور على تحطيم الهمم... وقد أصبحت طابع الجيل الضائع الذي غسل قلبه من معاني القيم الإسلامية، فلا ينظر ولا يسمع ولا يحس إلا من خلال جوارح الكافرين... وقد ذكرنا في أحد كتبنا الأربعين ألف صورة من رسوم الراقصات والمغنيات التي وزعت... قبيل «الزحف لتحرير فلسطين» عام ١٩٦٧م...!، ووعدت الجريدة المصرية ناشرة الخبر أن هناك مئة وستين ألف صورة أخرى لبقية الرقعاء ستوزع على أولئك المحاربين في خنادق القتال!... ثم كانت النتيجة تلك الهزيمة التي مرغت بالهوان جباه العرب والمسلمين جميعًا إلا فرق المنتفعين.

وما أدري لماذا تذكرني هذه السخافات بمنظر تينك الصورتين الأخريين، اللتين جاءني بهما ولدي أثناء حرب رمضان ١٣٩٣هـ على صفحات إحدى الصحف المصرية، وهما تعرضان طيارين مصريين، وقد هما بدخول الطائرة، وبدا جليًّا على خوذة كل منهما «لا إله إلا اللَّه».

إن جيش فريد الأطرش وعبدالوهاب وأم كلثوم وعبدالحليم حافظ وتحية كاريوكا لم يسجل في حربه تلك سوى مآثر الانهيار الذي وزعه خلال ساعات بين أسير في قيود اليهود، وشريد على رمال البيد.

أما جيش «لا إله إلا اللَّه» فقد مسح العار ـ خلال ساعات ـ عن جباه كل العرب والمسلمين بفضل اللَّه رب العالمين.

ولكن... أين الذين يفقهون ويعتبرون!

*** فيتو ثوري:**

ولا يفوتنا أن نذكر من الأعمال الأخرى التي شغل بها عن مهنته الأساسية في مصر، تعيينه رائدًا دينيًّا لمدينة البعوث، فكانت فرصة طيبة لروابط حية توثقت بينه وبين الطلاب الوافدين إلى الأزهر من أنحاء العالم الإسلامي، وأذكر أني التقيت ذات يوم خريجًا سوريًّا منهم، ولما استوضحته عن أقوى مشايخه أثرًا في نفسه لم يتردد في تسمية الشيخ محمود فايد. ولم يكن هذا الخريج ليعلم أن الشيخ زميل لي عزيز في الجامعة الإسلامية.

ولقد رضي ولاة الأمر في الأزهر عن نشاط الشيخ في عمله الجديد، ولم يحجبوا عنه تقديرهم، إلا أن السياسة لم تلبث أن أبدت قلقها من ذلك النشاط، وطلبت من وكيل الأزهر تنحيته. وبعد مطال طويل اضطر الوكيل إلى مصارحة الشيخ بالفيتو الذي أُشهر عليه، فلم يسع الشيخ إلا قبول الواقع، فقدم استقالته لفوره.

ولعل أكرم تعزية نالها الشيخ إثر استبعاده عن تلك الريادة خطاب وكيل الأزهر يومذاك ـ الدكتور محمد ماضي ـ الذي يقول له فيه: «لا يسعني بهذه المناسبة إلا أن أقدم لكم شكر الأزهر وتقديره لجهودكم المثمرة التي بذلتموها لصالح طلاب البعوث الإسلامية ولصالح رسالة الأزهر، وهي رسالة الإسلام، في الفترة التي قمتم فيها بأعباء هذه المهمة... كما نخطر فضيلتكم بأننا قد قررنا أن توضع صورة من خطابنا هذا في ملف خدمتكم...».

ولا جرم أنها لفتة كريمة من الدكتور ماضي تنم عن ارتفاعه فوق أهواء السياسة.

*** في مجلس الشعب:**

ونختم هذه الطائفة من صور النشاط الذي عرف عن المترجَم بالإشارة إلى تلك الصراحة المدوية التي أرسلها في مجلس الشعب المصري صيف العام ١٣٩٣هـ.

لقد دعي يومئذ للمشاركة في البحوث المثارة حول الأوضاع الجديدة بمصر، وفي إحدى الجلسات الحافلة ألقى الشيخ كلمته التي استغرقت عدة صفحات، صرح فيها بكل ما يراه، وأكد على وجوب مناجزة إسرائيل قبل أن تستكمل قدراتها المرسومة، التي يستحيل معها على العرب مواجهتها عسكريًّا.

وكأن القدر كان يجري على لسان الشيخ ما يدور في رءوس المخططين لحرب رمضان، التي ما لبثت أن شبت فاكتسحت، بمعونة اللَّه، خط بارليف. وقد نوه الأستاذ محمود أبو وافية بكلمة الشيخ تلك في مقال نشرته الأهرام يوم ٧٤/٢/٥ وقال في زيارة عجلي للمدينة المنورة: إن الرئيس السادات، اطلع على كلمة الشيخ فأيدها في حينها وعلق عليها بقوله: «هذه أصرح كلمة»[1] اهـ.

*** مع الأسد الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ رحمه اللَّه ـ:**

يقول الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه القيم «صيحة الحق»: «النصيحة هي قوام الإسلام ودعامته، عليها يعتمد، وإليها يستند وبها يسود وينتشر وحين يكون النصح خالصًا للَّه، ومستوعبًا للكبير والصغير، والحاكم والمحكوم، وكل أفراد الأمة على اختلاف درجاتهم، وأوضاعهم وحالاتهم، يكون مثمرًا ومفيدًا، يحقق الخير والصلاح والسعادة،

(١) «علماء ومفكرون عرفتهم» لمحمد المجذوب (١/٣٥٦ ـ ٣٧٣).

والهداية والتماسك والقوة والوئام والانسجام ويقي الأمة والدولة كل منافذ الشر والفساد والشقاوة والغواية والتحلل والضعف.

إن الإسلام لا يريد من المسلم أن يكون صالحًا فقط، بل يريد منه أن يكون صالحًا ومصلحًا، وبهذا ينجو من الخسران. وقد قال تعالى في سورة قصيرة يقول عنها الإمام الشافعي رضي الله عنه: «إن في القرآن سورة لو عمل بها الناس لكفتهم، فيه سورة العصر».

وصدق الإمام فيما قال: فهذه السورة على قصرها، تبين أن نجاة الإنسان من الخسران تتطلب الإيمان بكل ما أوجب اللَّه الإيمان به، وتتطلب العمل الصالح بكل أنواعه، وتتطلب أيضًا التواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتواصي تفاعل من جانبين فهو يوصي ويوصى وهذا يدفع عن الإنسان الغرور، فلا يخدع نفسه بأن يحسب أنه دائمًا على صواب، ولا يتمادى في الخطيئة ويحسب أنه أكبر من أن ينصح، بل يفهمون جميعًا أنهم معرضون للخطأ والصواب، والطاعة والمعصية، وصدق رسول اللَّه ﷺ إذ يقول: «**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**» رواه الترمذي وابن ماجه.

والحق كلمة جامعة تشمل كل ألوان البر والخير، وكل ما أوجب اللَّه العمل به، وكل الحقوق التي قررها اللَّه في كتابه، وبينها الرسول ﷺ.

والسورة تدعو إلى التواصي بالصبر، فالصبر يحتاج إليه الدعاة بل هو ضروري لهم لا يمكن أن يستمروا أو ينجحوا بدونه، فعلى الدعاة إلى اللَّه أن يتوقعوا الشر من أهل الشر، والأذى من أهل الأذى فلا بد أن يتسلحوا بالصبر كما تسلح به الرسول والمصلحون من قبل، لهذا قرن اللَّه الأمر بالدعوة بالأمر بالصبر كما هنا في هذه السورة، وكما جاء في وصايا لقمان ﴿**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ**﴾ [لقمان: ١٧]. وقد اشتهر بين الناس «اللي يقول الحق يندق».

لقد أنزل اللَّه الكتب وأرسل الرسل، وأخذ العهد على العلماء أن يبينوا للناس وحذرهم من التقصير فتحل بهم لعنة اللَّه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩][1].

*** ومن مواقف الشيخ المبارك ـ رحمه اللَّه ـ نسوق هذه المواقف لآلئ ودرر في جبين الأيام:**

١ ـ مع السادات: ـ «التعصب للدين أولى وأجدى من التعصب للوطن»:

في صحيفة الجمهورية الصادرة يوم الجمعة ١٢ محرم سنة ١٣٧٤هـ العدد (٧٣) عنوان كُتب بالخط العريض (أنور السادات يقول: التعصب الديني لا يقبله الخلق ولا الدين، فلنتعصّب من أجل وطننا فقط) وتحت هذا العنوان تحدثت الجريدة عن السيد أنور السادات فقالت إنه وزير الدولة وسكرتير المؤتمر الإسلامي فرد عليه الشيخ محمود فايد على الفور في مقال نُشر جاء فيه: «لقد قال السيد أنور السادات «التعصب الديني لا يقبله الدين» فمَن أين له هذا يا تُرى؟ وأي دليل عليه من الكتاب أو السنة أو الأدلة المعتبرة. لست أدري أعنده دليل في ذلك أم هو البعث الجديد[2] الذي جاء به المبعوث الجديد؟!!!

إننا نحن في شهر المحرم وذكرى الهجرة ماثلة في أذهاننا ومنها نعلم أن الرسول ﷺ فارق وطنه الحبيب إليه لكنه ظل مستمسكًا بدينه متعصبًا له يدعو إليه ويتحمل الأذى في سبيله حتى عاد فاتحًا لبلاده باسم الدعوة الإسلامية لا باسم الفكرة الوطنية وأعتقد أن أسلافنا الأوائل الذين فتحوا

(١) «صيحة الحق» ص(٨ ـ ٩) ـ الناشر دار القلم والكتاب.

(٢) كان أنور السادات يكتب مقالاته تحت عنوان «بعث جديد».

العالم وبلّغوا رسالة الإسلام السمحة لم يكن يخطر لهم ببال هذا الحدث العجيب»[١].

وقال: «وإذا كان السيد أنور يخاف على وحدة الأمة المصرية من أن تصاب بأذى أو تمسّ بسوء فمن الواجب أيضًا أن يخشى على وحدة الأمة الإسلامية من أن تصاب بأذى وتمس بسوء ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

❑ إن التعصب يا سيد أنور مطلوب للدين، وحسبك أن تقرأ قول اللَّه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وهنا حقيقة يجب أن تُعلم هي أن المسلمين لا يدينون بفكرة الوطن القائم على الحدود الجغرافية ولكن يدينون بفكرة الوطن القائم على العقيدة الإسلامية.

❑ الإسلام يا سكرتير المجلس الإسلامي دين واقعي يسع في أرضه المخالفين له ويضمن لهم في جواره حياة كريمة لا ظلم فيها ولا ضيم، ثم نقل بالنص قول الشيخ رشيد رضا من المجلد الثامن من «المنار» ص(٨٨):ـ «إنما البدع الغريب والأمر العجيب الذي لم يُعرف له نظير في أمة من الأمم هو ما نراه في هذا العصر من تصدى أناس لدعوى نصر الدين والزعامة فيه وحفظه على أهله وهم لم يقرءوا كتابه ولو قرءوه ما فهموه، ولم يتلقوا سنته ولو سمعوها لما وعوها، ولم ينظروا في عقائده ولو نظروا فيها لما عقلوها،

(١) «صيحة الحق» ص(١٥).

ولم يعرفوا معظم أحكامه وما يعرفونه منها لا يعملون به، أعجب من هذا وأغرب أنهم بلغوا من الوقاحة والتهجم أن صاروا يعارضون حملة القرآن وأنصار السنة وعرفاء الشريعة وحجج العقائد وحكماء الأحكام ويجادلونهم في اللَّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وقد حلّوا رابطة الدين ودعوا إلى رابطة أخرى يسمونها «الوطنية» يفرّقون بها بين المؤمنين، وقد جرّأهم على ذلك كله جهل العامة، وقلّة الذين يميّزون بين العلماء العاملين والأدعياء الجاهلين، ولو كان هؤلاء على شيء من الإيمان لاستحوا من اللَّه تعالى أن يدعوا هذه الدعاوى التي يكذبهم بها كتابه، كما تكذبهم سيرة السابقين الأولين، لكنهم لا همّ لهم إلا العامة التي يبغون عندها الرزق والاستعلاء في الأرض، وهم في مأمن من فهمها معنى الإيمان وصفات أهله لأنهم يحولون بينها وبين كل من يوجه وجهها إلى كتاب اللَّه تعالى الهادي إلى ذلك»اهـ. كلام الشيخ رشيد رضا.

❑ ومن كلام الشيخ محمود فايد في هذا المقال لأنور السادات:

«كيف تطلب منا أن نتعصّب للطين ولا نتعصب للدين؟! كيف تطلب منا أن نتعصب لدعوة الأرض ولا نتعصب لدعوة السماء؟! كيف تطلب منا أن نتعصب لوحي الشيطان ولا نتعصب لوحي الرحمن؟!

ألا فاسمعها كلمة مدوية أشهد اللَّه عليها وملائكته ومن بلغه هذا المقال... اسمعها كلمة مدوية أدخرها عند اللَّه، عسى أن أنال بركتها عند الموت وفي حنايا القبر ويوم البعث واللقاء...

اسمعها وليسمعها كل مسلم... تعصّبوا لدينكم وتمسّكوا به كل التمسك، وبلغوه للناس ما وسعكم البلاغ.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٧].

* الانتصار للإسلام:

❑ يقول الشيخ محمود فايد: «بعد كتابة هذا الرد على السيد أنور السادات استدعاني لمقابلته وعرض عليّ أن أكون أحد محرري جريدة الجمهورية فرفضت في حوار لا داعي لذكره، ثم بعد ذلك عثرت على خطبة للإمام المراغي، ولعلّ أصرح ما قيل في التعصب للإسلام هو ما جاء على لسان الإمام محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر، فقد قال من فوق منبر الأزهر في خطبة رسمية نشرتها الصحف وزيّنت به جيدها مجلة الأزهر المجلد التاسع ص(٨٠٧) وفيها يقول بالحرف ما نصه: «المسلم الذي لا يعترف بأن الدين حق كله وخير كله ويقول: إن بعض قواعده ضارة بالمجتمع أو ضارة بالمدنية أو السياسة مسلم مرتد عن دين اللَّه لا يقبل اللَّه منه صلاة ولا صومًا. وهذا حكم اللَّه أجاهر به من هذا المعهد ليكون المسلم على ذكر منه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦] إضعاف سلطان الدين على النفوس، والتفريق بين قواعده، وانتزاع سلطانه على الحياة الاجتماعية يضعف نفس المسلم، ويُبعده عن دينه، ويضعف خُلُقه، ويجعله أهلاً للذلة والاستكانة، والمؤمن محكوم

له بالعزة من اللَّه ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

أولئك الذين يحاولون إبعاد الدين عن الحياة الاجتماعية، ويحاولون إخفاء شعائره ومظاهره هم في الواقع أعداء للإسلام، لكن هؤلاء الأعداء مهرة في الدعوة إلى دينهم كما أنهم مهرة في السياسة ظلوا خلف الستر وقدّموا تلاميذهم من المسلمين، وفتلوا لهم في الذروة والغارب واستعانوا بإبليس وجنده، وسوسوا لهم ونفخوا في خياشيمهم وقالوا لهم: هل ندلكم على شجرة الخلد ومُلك لا يبلي، كونوا أبطال المدنية وقادة الإصلاح في الأمم، لكن ذلك لا يكون إلا إذا جاهرتم بأن الدين غير صالح للمدنية، وأن نظمه بعيدة عن الإصلاح الاجتماعي، وأن الأمم المتمدينة لا تحترم من يستمسك بالدين فجاهَرُوا بهذا دون استحياء، وما أولئك المساكين إلا مطايا ذُلِّلتْ وسُخِّرت ورُوِّضت، وما أصواتهم إلا صدى لمعلّميهم ومروّضيهم وفاتنيهم. هؤلاء إما غير مسلم يدعو إلى دينه عن طريق الخديعة والمكر أو مسلم مرتد أو ملحد، واللَّه لا يرضى عن هؤلاء جميعهم، فإما أن تُرْضوهم وتُغضبوا اللَّه وإما أن تُغضبوهم وتُرضوا اللَّه»، ثم قال فضيلته: «أيها المسلمون كونوا كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]. ولا تخشوْا أحدًا في إظهار شعائر الإسلام والانتصار للإسلام فاللَّه هو الأحق بالخشية وحده، والمسلم المتعصب لدينه مفيد للجماعة الإنسانية بخُلُقه وقوة إيمانه وهو سلم لإخوانه في الوطن، ولكل من له معهم عهد، فهو محرم عليه أن يعتدي على هؤلاء في أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم، لكنه مع هذا شديد الاحتفاظ بقوميته وعزته وحقوقه يأبى الضيم ولا يطيق الذل» اهـ. هذا صوت الأزهر صدر منه ودوّى في جنبات العالم صريحًا فصيحًا»[1].

(١) «صيحة الحق» ص(١١ ـ ٢٧).

* **«لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين» قول يتجاهل حقيقة الإسلام:**

لما نظرت جريدة «الأخبار أول مارس ١٩٧٩م في مطلعها العنوان الكبير (الرئيس السادات يتحدث إلى أساتذة جامعة الإسكندرية ـ «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين» ردّ عليه الشيخ محمود عبدالوهاب فايد في مجلة الاعتصام ربيع الآخر ١٣٩٩، ونشره في كتابه «صيحة الحق» ص(٣٤ ـ ٥٠).

❑ وقال فيما قال: «والآن نبدأ فيما أردنا الحديث فيه... قال رئيس الجمهورية: «لا دين في السياسة» ما معنى هذا؟ لقد حاولت أن أفهم هذه العبارة فاستعصى عليّ الفهم ـ هل يريد رئيس المجهورية ـ أن السياسة التي يريد أن ينتهجها سياسة بعيدة عن الدين لا شأن لها به، ولا ارتباط لها بتعاليمه وتتنافى معه... يعني سياسة لا دينية... إن كان يريد هذا فأنا أختلف معه كل الاختلاف... إن السياسة الصحيحة الناجحة لا تكون بمعزل عن القيم والأخلاق، والقيم والأخلاق أصلهما ومنبعهما من الدين.

قال رئيس الجمهورية: «لا سياسة في الدين».

أي دين يعنيه رئيس الجمهورية؟ إن كان يريد المسيحية فهذا صحيح... ولكن بالنسبة للديانة الإسلامية فإن الأمر يختلف كل الاختلاف... بل المسلمون جميعًا وعلى رأسهم علماؤهم قديمًا وحديثًا يؤمنون بأن الإسلام دين ودولة، هداية وسياسة، عقيدة وحكم، عبادة ومعاملة، تهذيب وأخلاق، قيم روحية وإنسانية ودولية، آمن بهذا المسلمون واستقر في أذهانهم، لم يجهله أحد من العوام، بل اعترف به خصوم الإسلام...»[1].

* * *

(١) «صيحة الحق» ص(٣٤ ـ ٥٠).

*** لا... للحزب اليساري: هذا هو واجب العلماء في توجيه النصح للحكام:**

لما قال السادات في افتتاح مجلس الشعب يوم ١٩ من ذي القعدة سنة ١٣٩٦ الموافق ١١ من نوفمبر سنة ١٩٧٦م: «استئنافًا للمسيرة التي عاهدت اللَّه والشعب عليها نحو الديمقراطية السليمة فقد اتخذت قرارًا... هذا القرار هو أن تتحول التنظيمات السياسية الثلاثة ابتداءً من اليوم إلى أحزاب» أي حزب يمين، وحزب يسار ماركسي، وحزب وسط... ونشر هذا في أهرام الجمعة ١٢/١١/١٩٧٦م صفحة ٢ عمود ٨ وصفحة ٩ عمود ١، ٥.

وقال أيضًا: لا تقوم الأحزاب على أسس دينية.

وقال: «إن الصراع بين الأحزاب أمر طبيعي ومن حق كل حزب أن يمارس حركته لكي يصل يومًا إلى تسلم الحكم».

وردّ عليه الشيخ محمود فايد في مقال جريء نشر في الاعتصام محرم ١٣٩٧ فقال: «﴿**هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ [ابراهيم: ٥٢].

ليس هناك أحد من الناس يتعالى على النصح أو يستغني عنه... وفي القرآن يقول اللَّه تعالى لداود وهو نبي معصوم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص: ٢٦].

ورسولنا العظيم ﷺ على الرغم مما ميّزه اللَّه به من نبوة، وما امتنّ به عليه من مواهب كان يشجع أصحابه على نصحه... ويوم وقف عمر رضي الله عنه مهددًا اليهودي الذي طالب النبي ﷺ بدَيْن له مغلظًا في طلبه صرخ النبي ﷺ في وجهه وقال: «**أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج... يا عمر**

تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي».

وهكذا أكّد النبي ﷺ بالقول والفعل رغبته في النصح وأظهر حرصه عليه، وأبدى استعداده لتقبّله، ولو ساقه إليه أحد أتباعه الذين اهتدوا من قبل على يديه.

❑ والترابط بين الحاكم والمحكوم يوجب التناصح بينهما ليقوم الارتباط على أساس متين، وعلى دعائم من الإخلاص والوفاء والعدل والحق والخير والصفاء فيتولد الحب وينمو ويرسخ ويقوى.

وإذا كان اللَّه تعالى قد أوجب على الحاكم أن يعمل لصالح رعيته ويحفظها ويحميها فقد أوجب أيضًا على العالم أن يعمل للحفاظ على الحاكم والمحكوم معًا.

وليس هناك أخون من عالم أكرمه اللَّه بالعلم وفقّهه في الدين، ويرى أمته تتعرّض للخطر فلا يحاول دفعه، ويجاري هوى الحاكم ولا ينصح له، ويُقرّه على الخطأ تزلّفًا وتقربًا ويغلو في مدحه رغبًا ورهبًا، لقد أوجب اللَّه على العلماء أن ينصحوا، لا أن يمدحوا، وأن الواجب على العالم أن يقوم بمهمة النصح ابتغاء مرضات اللَّه، وحرصًا على الصالح العام، فإن هو سكت وأخفى ما يعتقد أنه في صالح الدولة والأمة إيثارًا للعافية أو رغبة في مغنم، إنْ سلك هذا المسلك كان آثمًا في حق نفسه ووطنه وأمته، واستحق غضب اللَّه والناس أجمعين.

❑ إن التقاعس عن نصح الحُكّام إعلانًا عن فرط الثقة فيهم، أو طمعًا في إنعامهم، أو خوفًا من انتقامهم، يؤدي بالأمة والوطن إلى الهلاك وسوء المصير، وقد رأينا بأعيننا نتيجه ذلك في مصر من عهد ليس ببعيد.

❑ رفض جمال عبدالناصر أن يناقش أو يراجع باسم الدين، ووضع المتحمِّسين للإسلام في السجون والمعتقلات، وأذاقهم ألوان البلاء وصنوف

العذاب.. ثم أعلن على الملأ استخفافه بعلماء الدين وعمائمهم فأرهبهم وأرهب الناصحين ونتيجة لذلك بدأ نجمه في الأفول وحظه في الذبول، وكان جزاؤه من اللَّه جزاء من حرم الأمة أمنها ورخاءها.

واستمر في خطته، وأرهب الذين من حوله، فكان يتخذ القرار صوابًا أو خطأً فيعرضه عليهم فلا يسمع منهم إلا الثناء العاطر والتأييد الحار ثم يذهب مختالاً إلى مجلس الأمة ليشنف سمعه بألحانه الموسيقية تصفيقًا وهتافًا، وليمتع طرفه بمشاهدة المتمايلين المعجبين حتى في أحلك الظروف رقصًا وطربًا، وكان من جرّاء ذلك أن ازدادت الأحوال سوءًا واستولت إسرائيل على جزء من أرض مصر وتركت له الباقي يحكمه مَهْدَدًا حيران يشاركه في حكمه الروس. ومن عجب أن تحتل إسرائيل في عهده وعمرها مماثل لعمر الثورة أضعاف مساحتها من أرض مصر فضلاً عما التهمته من أراضي العرب المجاورة، وأن تغنم آنئذ أعظم غُنم في أقصر وقت وبأقل ثمن في حين أن تعداد اليهود كلهم في إسرائيل لا يبلغ نصف تعداد القاهرة وحدها.

وانتهى عبدالناصر ولقي ربه.. ولكن بعد أن تسلّم اليهود منه أرض مصر وسلاحها ووصلوا إلى القناة.

انتهى عبدالناصر ولقي ربه، ولكن بعد أن أغرق بلاده في الديون، وتجرّع كئوس الذل من اليهود ومن الروس معًا، وبعد أن ترك لمن يتولى بعده تركة عفنة منتنة في كل المرافق والمجالات»[1].

❑ وقال أيضًا في هذه المقالة:

«أقول ما معنى تحويل التنظيمات إلى أحزاب، وألاّ تقوم الأحزاب على

(١) «صيحة الحق» ص(٥١ ـ ٥٣).

أُسس دينية ـ هل معناه أن الأحزاب الثلاثة المصرح بها أحزاب لا دينية، إذن فمن الواجب على فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود، وفضيلة وزير الأزهر الشيخ محمد متولي الشعراوي وأعضاء مجمع البحوث، ومدير الوعظ ورجاله أن يدرسوا هذه الحقيقة ويتباحثوا هذا الوضع الجديد ويُبصّروا الأمة بما يمكن أن ينتج عنه بالنسبة لدينها الرسمي المعتمد في الدستور، وإذا كان الشيوعيون يجتمعون ويتدارسون، ويكتبون في الصحف، ويقابلون المسئولين لبيان وجهات نظرهم فأولى بذلك علماء الإسلام الذين ائتمنهم اللَّه على دينه قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال: ٢٧].

وإذا كان حزب الوسط الحاكم لا يقوم على أساس ديني، فما معنى حديث رجاله عن الدين أيام المعارك الانتخابية؟

هل معنى هذا أنهم يريدون أن تستروح الأمة نسيم الدين من النافذة لا أن يكون أساسًا يُبنى عليه المجتمع، فإذا أحسّ الحكام من الحزب بأن النسيم قد يتحول إلى عاصفة يُخشى على أشخاصهم منها بادروا بإغلاق النافذة، ومنعوا هذا التيار حفاظًا على أنفسهم وعلى صحتهم فهم يفتحون النافذة ويغلقونها حسب الظروف والأهواء.

❑ إن الجو الإسلامي ـ وأقولها في أسًى ومرارة ـ لم تستمتع به الأمة استمتاعًا صحيحًا كاملاً حتى الآن، ولو استمتعت به لوجدت من يُحاسب المسئولين على كل صغيرة وكبيرة كما يقضي بذلك الإسلام، ولو أن الحكّام تربّى عندهم هذا الشعور، الشعور بمحاسبة المحكومين لهم لامتنعوا عن الإقدام على أية خطوة يفاجئون بها الأمة وتعرضها لكارثة يصعب تداركها. لقد نُكبت مصر بالانحلال والاحتلال وبديون باهظة جلبت لها الذل والعار والهوان يوم غابت عنها روح الإسلام، هذه الروح التي جعلت واحدًا من

الرعية يقول لحاكم المسلمين عمر الذي هابه العالم والذي حكم مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام بكل ما فيها من دول يقول مُقاطعًا له وهو يخطب، مُحاسبًا له على ثوب رآه عليه: «من أين لك هذا الثوب؟»،

لا أدري ونحن نُعبِّد الطريق لحزب اليسار الماركسي، ونضع أمامه سُلّم الحكم ليصعد عليه درجة درجة، لا أدري هل ذلك عن اقتناع منا بأن تسهيل ارتداد العدو عن أرضنا مرهون بتسهيل ارتدادنا عن ديننا؟ هل ذلك عن اقتناع منا بأن تيسير طرق التخلص من ديوننا مرهون بتيسير طرق التخلص من ديننا؟!

❑ والتصريح بقيام حزب يساري ماركسي ملحد يقوم بنشاط وصراع ليصل إلى الحكم متجاهلاً دين اللَّه بل معلنًا عليه حربه منكرٌ كبير، وشر مستطير يجب التحرر منه والنهي عنه؛ لأنه يحاد اللَّه ورسوله، ويؤدي إلى انقسام الأمة وإشعال نار الفتنة، ويُعرّض المسلمين لأن تُستباح دماؤهم وأموالهم وأعراضهم، وتستحل حرماتهم، وتُهان مقدساتهم، ويفتنوا في دينهم، ولنا في البلاد التي ابتليت بالماركسية وما حلّ بها من بلاء، وما أصابها على يدها من شقاء عظة مؤثرة، وعبرة بالغة.

انقض الماركسيون على المسلمين فجأة، ونكّلوا بهم وأجاعوهم وشرّدوهم، وأراقوا دماءهم، واستباحوا أعراضهم، ونهبوا ديارهم وأموالهم، وخرّبوا مساجدهم، ونشروا بينهم الإلحاد والفساد، وضيّقوا عليهم حتى كادوا ينقرضون.

تم هذا في القرم والتركستان، ثم كاد يتحقق ـ لولا لطف اللَّه في أندونيسيا والسودان، وأُبرم حبله، وأُحكمت عقدته، واستحكم خطره في عدن وفي الصومال.

هذه بعض نتائج الحكم الشيوعي، آثار مجرمة، وأعمال محرّمة، فهو

شرٌّ يؤدي إلى شر، وهو حرام وذريعة إلى الحرام. . حرام ظهارة وبطانة، سدى ولحمة، وسيلة وغاية، وما كان كذلك فإقراره حرام، ومهادنته حرام. . والتصريح به حرام وأشد حرمة، والسكوت على المنكر منكر فكيف بإباحته؟ إنني أسأل الذين يصرّحون به أهو خيرٌ فنقرّه أم شرٌّ فننكره؟!(١) .

❑ وقال أيضًا: «يا سيادة الرئيس: في دولة العلم والإيمان أُبيح للماركسية أن تخترق الحجاب وتقتحم الأبواب وواجب الحاكم المسلم صيانة عقائد المسلمين حتى لا تكون فتنة في الأرض.

وأُعيذ باللَّه رئيس الجمهورية أن يفتح علينا باب فتنة، وأن يرضى لأمتنا المسلمة أن تنقلب على أعقابها، وتنزل إلى الدرك الأسفل فتتلقى تعاليم ماركس بالترحاب وتزدري شريعة رب الأرباب قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٠ ـ ٢٢](٢) .

❑ وقبل ذلك ينقل بالحرف ما جاء في تفسير ابن كثير عند قول اللَّه تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٣) .

---

(١) «صيحة الحق» ص(٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧).

(٢) المصدر السابق ص(٦٣، ٦٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٧٤) طبعة المنار، (٢/ ٦٧) طبعة الحلبي، (٣/ ٢٢) طبعة الشعب.

وكان الشيخ محمود فايد كما قال: «لقد وقفنا وحدنا ننكر آنئذ بكل قوة وحزم قيام حزب يساري في مصر بلد الإسلام والأزهر»[١].

رسالة ودية لرئيس الجمهورية المصرية

حول أهمية تطبيق الشريعة الإسلامية

سيادة الرئيس، لقد أقسمت باللَّه العظيم عقب توليك على احترام الدستور وصيانته ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[٢] [الواقعة: ٧٦]. وقد نصت مادته الثانية على أن الإسلام دين الدولة، والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وهذا يوجب عليك ألا تدخر وسعًا في سبيل تطبيق هذه المادة، وليس في الشريعة الإسلامية إلا ما يحقق الخير للراعي والرعية، وحسبنا أن نستمع إلى رسول اللَّه ﷺ وهو يشمل كل الناس على اختلاف أديانهم بعدله، وحذر من أن يمسهم ظلم في ظله، ويقول في حزم وحسم **«دعوة المظلوم وإن كان كافرًا ليس دونها حجاب»** أخرجه أحمد عن أنس «ترهيب» (٣/ ١٨٨).

سيادة الرئيس وفقك اللَّه حتى تبر بقسمك، وتكون بالالتزام والانضباط قدوة صالحة لشعبك، وأمدك بحاشية صالحة تذكرك إذا نسيت، وتعينك إذا ذكرت،

سيادة الرئيس، السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته،

أما بعد،

لقد جربت مصر جميع الأدوية والقوانين المستوردة والمحلية البعيدة عن

---

(١) «صيحة الحق» ص(٨١).

(٢) غفر اللَّه للشيخ.. القسم باللَّه عظيم أي عظيم ولكن على ماذا القسم.. نحافظ على ما يوافق ديننا.. وما يخالفه فيه ننبذه ولا نقبله.

شرع اللَّه، فما ازدادت إلا ضعفًا وهوانًا، فلم يعد جسمها العليل قادرًا على أن يتحمل مزيدًا من العلل والانتكاسات، وقد عبرت الأمة منذ وقت طويل وفي كل فرصة سنحت لها عن رغبتها في استعمال العلاج الرباني، والقانون الإلهي الذي يحميها من الانحراف والفساد والرذيلة، ويضمن لها الحرية والكرامة، والعزة والقوة، والسلام والأمان، والعدل والمساواة، والرخاء والاستقرار، والخير والفضيلة والتماسك والحب والألفة.

وكثيرًا ما استنجدت الأمة بالأزهر وإمامه الأكبر، وللذكرى نسوق بعض ما نشر في صحفنا عندما ألفت لجنة لإصدار دستور جديد سنة ١٩٧١م.

بعثت الأمة بوابل من البرقيات إلى شيخ الأزهر تستنجد به، ونكتفي بتسجيل هذه البرقية التي بعث بها فضيلته إلى رئيس لجنة الدستور. فهي غنية عن التعليق، ونصها بالحرف الواحد كما نشر في جميع الصحف يوم ٩ ربيع الآخر ١٣٩١هـ ـ ٢ يونيه ١٩٧١م:

«باسم الإسلام الذي جاء بأحكم دستور حقق عزة العرب ومجد الإنسانية، وباسم الشعب الذي أمطرنا وابلاً من البرقيات والخطابات يعبر عن رغبته الأكيدة المنبعثة من تدين المصريين منذ أقدم العصور، وباسمي، واسم جميع العلماء والعاملين بالأزهر الذين حفظوا تراث الإسلام ونشروا هدايته، باسم هؤلاء جميعًا نرجو ملحين في الرجاء أن ينص في الدستور على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام الذي وسع الناس جميعًا بعدله وإنصافه وسماحته، وأن تستمد منه القوانين والتشريعات التي تنظم حياتنا».

نعم، لقد أبدت الأمة رغبتها صريحة مدوية في أن تصبغ حياتها، وتصاغ قوانينها بالصبغة والصياغة الإسلامية، وعادت الحكومة إلى الشعب من جديد تتعرف على رغبته فأكد لها الشعب بالإجماع حرصه على أن تكون الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي لجميع القوانين، وأذعنت الحكومة

لرأي الشعب فضمنت الدستور هذا النص، وألفت لجان متعددة لإعادة صوغ القوانين، وبادر الأزهر ـ آنئذ ـ بأداء واجبه، وقام بإنجازها، ثم حملها الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود ـ رحمه اللَّه تعالى ـ وذهب إلى مجلس الشعب، وقال كلمته المأثورة المشهورة:

«لقد انتقلت المسئولية من عنق الأزهر إلى عنق ممثلي الشعب».

ومن هذا اليوم نلحظ تراخيًا في إصدار هذه القوانين، وتأجيلاً للنظر فيها وإقرارها من أسبوع إلى أسبوع، ومن شهر إلى شهر، ومن عام إلى عام حتى انتهت الدورة والقوانين مدرجة في المكاتب لا تجد من يطلقها من الإسار، أو ينفض عنها الغبار ونسي هؤلاء أن اللَّه واحد قهار لا يفلت من قبضته معارض لشرعه، أو معوق[1] لتنفيذ حكمه، وصدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ [النساء: ٥٩-٦٣].

---

(١) كان على رأس المعوّقين الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق.

* وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧ - ٥١].

❑ قال عميد كلية حقوق جامعة أثينا في مؤتمر الحقوقيين:

«إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد ﷺ، إذ أنه استطاع رغم أميته أن يأتي للعالم بتشريع سنكون نحن الغربيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة».

❑ وقال أدموند يورك:

«القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقي وأعظم قضاء علمي وأعظم تشريع عادل لم يسبق قط للعالم إيجاد مثيله».

هذه شهادات تشهد بفضل الشريعة الإسلامية، وتنوه بأثرها البليغ في إصلاح الأمة والدولة.

شهد الأنام بفضلها حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

يا سيادة الرئيس،

هل يجوز بعد هذا أن نعارض اللَّه، ونتراخى في تنفيذ شرعه، أو نعمل على تعطيل أحكامه، أو نؤثر حكم الإنسان على حكم الرحمن؟!

هل يجوز بعد هذا أن نعارض الأمة التي طالبت ولا تزال تطالب بأن نعود إلى شرع اللَّه عسى أن ننال رضاه، ويرفع عنا الضر، ويكشف عنا

الغمة.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤ ـ ٢٧].

❑ يا سيادة الرئيس:

أنقل لك، وأضع تحت بصرك، وتحت بصر كل مسلم هذا النص من تفسير الإمام الحافظ بن كثير المتوفى عام ٧٧٤هـ عند قوله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه في ص(١٣٧) ج(٣) طبعة المنار، ص(٦٧) ج(٢) طبعة الحلبي، ص(١٢٢) ج(٣) طبعة الشعب:

«ينكر تعالى على من خرج عن حكم اللَّه المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة اللَّه، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن مليكهم جنكيز خان الذي وضع لهم «الياسق» وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية..

وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا يقدمونها على الحكم بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم اللَّه ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير».

قرأ هذا شبابنا فتأثروا به، ولا عجب فكلام ابن كثير ناصع الدلالة، قوي التأثير يصرخ في وجوه المؤمنين يحضهم على نبذ كل قانون يخالف قانون اللَّه، ويحضهم على حمايته بكل ما أوتوا من قوة.

سيادة الرئيس،

من قلب مخلص مشفق أكتب إليك هذا الخطاب، سائلاً اللَّه تعالى أن يوفقك ويحفظك ويرعاك، ويدفعني إلى كتابته:

أولاً: أن نتحاشى أسباب اللعنة وما يسخط اللَّه قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

● وقال ﷺ: «من التمس رضا اللَّه بسخط الناس رضي اللَّه عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط اللَّه سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان.

ثانيًا: أن ننأى عن أسباب الخسران.. قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ

وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

ثالثًا: أن نتقي أسباب الهلاك التي دلت عليها هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤، ١٦٥].

● وعن أبي سعيد قال ﷺ: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يحقر أحدكم نفسه**»، قالوا: يا رسول اللَّه، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أمرًا للَّه فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول اللَّه عز وجل له يوم القيامة: ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى**» أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٢٨).

● وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده فإنه لا يقرب من أجل أو يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم**» أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٥٠)، »[1].

*** للَّه درك من عالم رباني، آمر بالمعروف ناهٍ عن المنكر صادع بالحق:**

من أقوال الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ رحمه اللَّه ـ:

«نحن علماء الأزهر، ونحن الشيوخ الذين آذنت شمسنا بالمغيب أولى من الشباب بأن نستمسك بديننا، وندعو إلى العمل به، والتحاكم إليه، والتضحية من أجله.

(١) «صيحة الحق» ص(١١٨ ـ ١٢٦).

إنه ليس بمعقول ولا مقبول أن تقتصر مهمة الأزهر والمتخرّجين منه والمتصدرين فيه اليوم على وعظ المساجين دون السجّانين، وعلى وعظ المحكومين دون الحاكمين»[1].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن كل مسلم مسئول عن تطبيق شريعة الإسلام، مسئول عن تطبيقها على نفسه وعلى أسرته بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

❑ ومسئول عن تطبيقها في مجتمعه وأمته بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

● ومسئولية الحاكم أقوى وأشمل قال ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها**» أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر.

وقال عثمان رضي الله عنه: «إن اللَّه ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن»، المسئوليات متعددة ومتفاوتة، والإسلام لا يرضى من المسلم بأن يكون صالحًا فقط، بل يطلب منه أن يكون صالحًا ومصلحًا، وبالصلاح والإصلاح ينجو من الخسران قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

(١) المصدر السابق ص(١٢٨).

[المائدة: ١٠٥]. فما نفى اللَّه الضرر إلا عند تحقق الاهتداء، والاهتداء لايتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، على ضوء هذا نقول: إن المحكوم مسئول عن الحاكم والحاكم مسئول عن المحكوم، وقد فهم هذا أبو بكر ﷺ، فقد قال في أول خطبة له بعد أن تولى أمور المسلمين: «يا أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني، الضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، أطيعوني ما أطعت اللَّه ورسوله فإذا عصيت اللَّه ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

هذه الأسس التي نبّه إليها أبو بكر الصديق ﷺ ينبني عليها صلاح الأمة، وصلاح الدولة، إنها تدعو إلى اليقظة واليقظة البالغة، يقظة الحاكم ويقظة المحكوم، كل منهما يراقب الآخر وينبهه إلى خطئه، ويدله على انحرافه، ويأخذ بيده إلى الطريق القويم، وحينئذ تعيش الأمة في نعيم وأمان، وتبقى الدولة في استقرار وسلام»[1].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ صادعًا بالحق ـ وهو أستاذ الحديث وله العلم الجم بالجرح والتعديل:ـ

«في عهد الرئيس جمال لم يأمن رجل شريف على نفسه أو ماله أو عرضه، فقد أطلق يده يتصرف كما يشاء، وفتح أبواب السجون المظلمة يعذب فيها الأبرياء، وينتهك أعراض النساء، وارتكب من المخازي ما يخجل منه الشيطان كما يقول بعض الكتّاب الفضلاء، ولم ينج منه رئيس أو مرءوس، لم ينج منه اللواء محمد نجيب الذي فجرّ الثورة، بل لقي منه هوانًا، وتجرّع من كئوس الذل ألوانًا.

(١) «صيحة الحق» ص(١٤١، ١٤٢).

مات جمال بعد أن أرهب الشرفاء، وأطلق يد المفسدين تعذب الأبرياء، وبعد أن اقترفت يده الآثمة مذبحة القضاء، وبعد أن سلّم أرض مصر لليهود والروس المفسدين الأخسّاء، وبعد أن بدّد مال الدولة وأرهقها بالديون الباهظة وقد كانت قبل الثورة تدين إنجلترا بنحو أربعمائة مليون جنيه إسترليني، لقد كانت لسياسته هذه عواقب وخيمة أثّرت على الجيل الذي وُلد بعد الثورة»[1].

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «نرجع إلى التاريخ الإسلامي أيام طهره ونقائه، وتوهجه وصفائه لنسترشد به، ونستنير بضوئه:

جاءت عمر رضي الله عنه «برود» من اليمن ففرّقها على الناس بردًا بردًا ثم صعد المنبر وعليه حلة منها «أي بردان» فقال: اسمعوا رحمكم اللَّه، فقام إليه سلمان رضي الله عنه فقال: «واللَّه لا نسمع، واللَّه لا نسمع، فقال: ولم يا أبا عبداللَّه؟ فقال: يا عمر، تفضّلت علينا بالدنيا، فرّقت علينا بردًا بردًا، وخرجت تخطب في حلة منها. فقال: أين عبداللَّه بن عمر؟ فقال: ها أنا يا أمير المؤمنين. قال: لِمن أحد هذين البردين اللذيْن علي؟ قال: لي، فقال لسلمان: عجلت عليّ يا أبا عبداللَّه، إني كنت غسلت ثوبي الخَلِق، فاستعرت ثوب عبداللَّه، قال سلمان: أمّا الآن فقل نسمع ونُطيع، «الرياض النضرة» (٢/ ٧٤)، وابن الجوزي بنحوه ص(١٢٧)»[2].

* للَّه درك ما أجرأك من ليث:

❑ قال ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «صيحة الحق» ص(١٥٢، ١٥٣):

«نسأل الذين كُتِب لهم التصرف في أموال الدولة كيف ساغ لكم أن تحرموا أسرة الرئيس محمد نجيب من الخزانة التي تغرفون منها بلا حساب

(١) «صيحة الحق» ص(١٤٤).

(٢) «صيحة الحق» ص(١٥٠).

لأسرة الرئيس جمال والرئيس السادات، أهو الحكم بالهوى؟ أم هو الرغبة في إرضاء شيعة الرئيسين؟!! إن أسرة جمال عبدالناصر لديها من الأموال ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، وسلوا الصحف الأجنبية عن ثروة منى عبدالناصر وأشرف مروان، وكلاهما كان من أفقر عباد اللَّه فهبطت عليهما الثروة فجأة، سلوا جريدة (الفاينانشيال تايمز) وقد نقلته عنها جريدة الوفد يوم ١٤٠٤/١٢/٢٥هـ ـ ٢ سبتمبر ١٩٨٤ بالصفحة الأولى والعاشرة.

وأسرة السادات يحدثكم عنها عصمت السادات، ورشاد عثمان وقضاياهما محفوظة لكل إنسان، وجارية على كل لسان.

فكيف ساغ لكم يا حكام مصر الحكماء والعقلاء أن تفيضوا على الأغنياء وتحرموا الفقراء؟! وكيف ساغ لكم يا سادة أن تعطوا الأسرتين قصوراً وأموالاً تساوي مليارات من خزانة شعب فقير مدين لدول أجنبية بما يساوي قرابة سبعة عشر مليار دولار طبقًا لتصريحاتكم، ومن فمكم ندينكم.

إن هذه الديون بفوائدها تكبِّل الشعب، وتسمح للدائنين بأن يضيِّقوا عليه الخناق، فلا يجد في المستقبل ما يعينه على ضرورات الحياة، وكفى أن الشعب كله يقف طوابير أمام المخابز والجمعيات الاستهلاكية، فهل يجوز لكم أيها العقلاء الحكماء أن تستقطعوا من خزانة هذا الشعب المطحون بما تضيفونه إلى ثروة آل فاروق؟!! لا أقول غفر اللَّه لكم، فإن اللَّه لا يغفر لمن يظلمون الناس حتى يردوا إليهم ظلامتهم، ولكني أقول: عاملكم اللَّه بمثل ما تُعاملون به شعبكم، وعاملكم اللَّه بما أنتم أهل له» اهـ.

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ ص(١٥٤) في كتابه «صيحة الحق»:ـ

«إن الذين يرفضون الإسلام يرفضونه لأنه دين لا يلهي المحكومين ولا يخدّرهم، بل يفتح عيونهم، ويبصرهم بحقوقهم، ويشجعهم على المطالبة بها، ومساءلة الحكام عنها.

إن الذين يرفضون الإسلام يرفضونه؛ لأنه يجعل الحاكم والمحكومين على سواء أمام قانون السماء، ظهره كظهورهم، وماله كأموالهم، وعرضه كأعراضهم، لا فرق بينه وبينهم، وهم يريدون أن يتحكّموا في الناس وأقدارهم وأموالهم دون سؤال أو عقاب».

*** يا سيادة الريس: بحكم منصبك فإني أذكرك والذكرى تنفع المؤمنين:**

كتب الشيخ محمود عبدالوهاب فايد هذه الرسالة الودية إلى رئيس الجمهورية ونشرها في مجلة الاعتصام ربيع أول وربيع الثاني عام ١٤٠٧هـ وذكر فيها إلحاح الأمة في المطالبة بتطبيق شرع اللَّه، ورغبتها الخالصة الصادقة في إصدار القوانين التي تم إعدادها بشهادة شيخ الأزهر ـ نزولاً على حكم اللَّه.

يقول الشيخ: «ثم حذرت المسئولين من تجاهل شريعة اللَّه، وإهمال وصايا رسول اللَّه، والاستجابة لنصيحة أمريكية، أو صليبية، أو علمانية، أو شيوعية فتصيبنا فتنة، ونبتلى في حياتنا وأرزاقنا ومعايشنا ومصائرنا، وذكرتهم بقول اللَّه سبحانه: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣]، وبقوله سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه: ١٢٤]. وقد مرّ عام ولم يبد من ولاة الأمور أي تحرّك جدّي في سبيل مرضاة اللَّه، وتحقيق رغبة الشعب، وتطبيق نصّ الدستور فماذا جرّ ذلك علينا؟!!!

نتيجة لهذا الموقف وقعت الواقعة، وتحقق ما حذّرنا اللَّه منه ـ تأديبًا لنا، وعقابًا على إهمالنا فهل من معتبر.

نعم لقد أطلّت المحن والفتن بعنقها، غلاء فاحش يقصم الظهور، وأزمة طاحنة تطوّق أعناق الأمة تزداد يومًا بعد يوم، تنذر بسوء المصير لأجيالنا، بل

وللأجيال القادمة من بعدنا»[١] .

❑ وقال الشيخ: «أيُلامُ الشاب وهو يريد أن يعيش عيشة الطهر والعفاف في ظلال شريعة اللَّه آمنًا على نفسه وعرضه وماله؟

أيُلام الشاب وهو يرى نيران الشرور تشتعل وتشتد وتنتقل من بيت إلى بيت فيطلب من الحكومة أن تحميه وتحمي المجتمع فتسارع إلى إطفاء جذوة الفساد حذرًا من أن تدمّر البلاد والعباد؟!.

إن الشباب اليوم يشاهد مظاهر الاستهتار بالدين، ومظاهر الاستهتار بنزاهة الحُكم، يشاهد الذين يُعارضون أحكام اللَّه ويخرجون على تعاليمه، ويشاهد في حسرة بالغة مظاهر الاستبداد، والفساد، واستغلال النفوذ، وانتشار الرشوة والاختلاس والتهريب والمحاباة، يشاهد مظاهر الإسراف الحكومي التي تتجلى في مخصصات الحكام ومن ينتسبون إليهم أحياءً وأمواتًا، وتتجلى في النفقات الباهظة التي تُصرف في الحفلات داخل الدولة وخارجها وبدون ضرورة، في الوقت الذي ينام فيه كثير من الشعب في المقابر أو على الرصيف ويقفون طوابير في الشوارع ليحصلوا على الرغيف، وفي الوقت الذي تستدين فيه الدولة لتوفر لقمة العيش التي تمسك رمق الأمة، وفي الوقت نفسه تضع الأغلال في أعناقها وأيديها وأقدامها!!»[٢].

*** الشيخ محمود فايد يدخل عش الدبابير:**

وفي جرأة العالم الذي لا يخشى في اللَّه لومة لائم يقول الشيخ:

«إن قرار الاتهام الذي أذاعه النائب العام رسميًّا ضد كبار ضباط الشرطة ومساعديهم الذين اشتركوا في تعذيب المواطنين في السجون بعد

(١) «صيحة الحق» ص(١٥٩، ١٦٠).

(٢) «صيحة الحق» ص(١٦٥، ١٦٦).

القبض عليهم يشين الدولة، ويلطخ وجهها بالعار، ويسيء إلى سمعتها، ويوجب على أولي الأمر أن يسارعوا على الأقل بنقلهم إلى مواقع أخرى لا يكون لهم فيها شوكة ولا يُخشى منهم أذى.

❑ إن المصريين الذين يعيشون في الخارج ستحمر وجوههم خجلاً ويتعيرون حينما يقرءون ويقرأ العالم عنهم وفي صحفهم قرار النائب العام الذي أعلنه يوم الخميس ١١ سبتمبر ونشرته الصحف يوم ١٢ سبتمبر ١٩٨٦ بإحالة ٤١ ضابطًا و٤ مساعدي شرطة للمحاكمة أمام محكمة الجنايات لمعاقبتهم بالأشغال الشاقة والسجن، وذلك لقيامهم بتعذيب متهمين من الجماعات الإسلامية تعذيبًا وحشيًا ثبت بشهادة الشهود، وأكّدته تقارير الطب الشرعي.

هل بلغ الرئيس ما أذيع من انحراف بعض رجال حكومته كما بلغه ما وقع من انحراف من بعض أبناء أمته؟.

لقد أثبت قرار الاتهام أن بعض رجال الأمن في حكومته لا يؤمنون بحقوق الإنسان ولا بالمواثيق الدولية، ولا بالقوانين المحلية، ويعتبرون هذا منكرًا من القول وزُورًا، ويُحيّون المتهمين أو المشتبه فيهم بعصا في «الدبر» وضغط على «الخصيتين» وكيّ بالكهرباء، وتعليق من الأرجل، وضرب بالسياط، وقلع للأظافر، ونتف للشعر، واعتداءات عليهم أو على أهليهم بصورة فاضحة يستنكرها كل من لديه ذرة من شرف أو بقية من آدمية»[1].

❑ ثم قال الشيخ: «التاريخ يذكرنا أن ما فعله جمال عبدالناصر من تعذيب للبرآء والتنكيل بالمواطنين واعتداء على آدمية الإنسان في مصر قد هيأ الفرصة لإسرائيل أن تُعلن الحرب وأن تغتصب الأرض وأن تأسر الجيش وأن

(١) «صيحة الحق» ص(١٦٧، ١٦٨).

تغنم السلاح وأن تقيم أهرامات من جماجم المصريين في السابع والستين.

والتاريخ يؤكد أن جمال عبدالناصر نفذ المخطط الأمريكي في المنطقة بمناوأة الإسلام وضرب المسلمين ومحاربة الدعاة وتعامل مع الخطة الأمريكية المرسومة، القائمة على أن الصراع سيظل محتدمًا بين الحضارة الإسلامية، والحضارة المسيحية ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام.

هذا على الصعيد الأمريكي، أما على الصعيد الروسي فقد منحت روسيا جمال عبدالناصر أعظم وسام روسي، بعد أن احتفلت مصر بذكرى «لينين» على المستوى الرسمي والشعبي في الشهر الذي تحتفل فيه الدولة بالمولد النبوي الشريف الذي جعلته مصر عيدًا دينيًا رسميًا، ثم دفعت بعد ذلك بعملائها في كل المرافق، ينشرون الفساد والإلحاد!

إن هذا الأسلوب، أسلوب تعذيب السجناء والمعتقلين اتبع من قبل ـ حذو النعل بالنعل ـ في عهد عبدالناصر، فماذا كانت نتائجه؟ أنت أول من يعرف النتائج، ولكني أذكرك به ـ وعلى الرغم مني ـ فالذكرى تنفع المؤمنين.

في جريدة الجمهورية، وهي ليست من صحف المعارضة يوم الخميس ١٩٨٦/٨/٢١ صفحة ٩ العمود الأخير ما نصه:

«اعتقل عبدالناصر في ليلة واحدة ٣٠ ألف مواطن وأعلن ذلك أمام الجماهير، وصفق الحاضرون دون وعي، وقضى معظم المعتقلين ٥ سنوات أو أكثر بين جدران المعتقلات، وخرجوا جميعًا من المرضى والمشوهين نفسيًا وجسميًا، مع أن الجريمة كانت مجرد شبهة، بل امتد الأمر أكثر من ذلك، وأصبحت حربًا على الأديان، وصدرت التعليمات بعدم ترقية المسلم الذي يرتاد المساجد أو يحتفظ بمصحف في مكتبه!!».

وتقول إحدى محاكم الجنايات سنة ١٩٧٨م عن فترة حكم جمال

عبدالناصر بعد أن سردت جرائمه الفاضحة، ومآسيه المخزية المبكية:

«إنها أسوأ فترة شهدتها مصر في تاريخها القديم والحديث».

لقد وأد جمال عبدالناصر حرية الشعب وأضاع كرامته وشهامته ونخوته، وملأ القلوب بالذل والرعب بما نشره من جواسيس، وبما فتحه من سجون، وبما أقامه من مراكز تعذيب، فأصبح الوالد لا يثق في ولده، والزوج لا يثق في زوجته، والقريب لا يثق في قريبه، والصديق لا يثق في صديقه، واطمأنت إسرائيل بأن الشعب في حالة احتضار، ويتهيأ للموت فلا يرفع رأسًا، ولا تسمع له ركزًا ولا همسًا، فاغتنمت الفرصة، وشنت الحرب، واحتلت الأرض، وأسرت الجيش، وغنمت السلاح، وأقامت معارض من جماجم المصريين!!. كما جاء في الجمهورية بتاريخ ٢٦/ ٤/ ١٩٦٨.

وهكذا ضربت إسرائيل ضربتها، وأدركت بغيتها، واضطر الزعيم العسكري، والقائد الأعلى الحربي أن يطلب في تواضع ومهانة وبإلحاح من مجلس الأمن أن يوقف القتال بعد أن وصلت إسرائيل إلى قناة السويس في ستة أيام أو كما تقول في ست ساعات، واستجاب له مجلس الأمن فقرر وقف إطلاق النار، وتنفس الزعيم الصعداء، وزال عنه الكرب والعناء، ورقص بعض أشياعه طربًا لسلامته، وأعلنوا ابتهاجهم باستمرار سلطته، ولتذهب «سيناء» إلى إسرائيل، فما هي ـ كما يقول الصحفي حسنين هيكل ـ إلا حبات رمال، وليبق جمال متربعًا فوق جماجم الرجال فهو موضع الرجاء ومنتهى الآمال، ولا عجيب فبقاؤه بقاء لهم ـ وإن اكتوت مصر بنير الاحتلال ـ وزواله إيذان لهم بالضياع والزوال!!

لقد سلم جمال أرض الوطن، وسلم الجيش، وسلم السلاح لأعدائنا، وبقي ثمنه، وبقيت تكاليف شحنه دينًا في عنقنا، ولا نزال نعاني من وطأة

الديون التي فتحها علينا وجلبها إلينا، خصوصًا بعد أن باع رصيدنا من الذهب في حرب اليمن كما قال مدير مخابراته «صلاح نصر» في مذكراته، وهكذا أصبحنا مدينين في عهده بآلاف الملايين بعد أن كنا دائنين ـ قبل الثورة ـ لإنجلترا بنحو أربعمائة مليون جنيه إسترليني والمليون الآن بمائة مليون أو يزيد!!.

وهكذا انتهى بنا الحال في عهد الزعيم، فبعد أسبوع واحد من الحرب، وفجأة على حين غرة فقدنا أرض الوطن، وفقدنا الاستقلال، وفقدنا السلاح والرجال، وفقدنا الشرف والمال، وأصبحت مصر مهينة ذليلة، جزء من أرضها العزيزة تحتله إسرائيل، والباقي يتحكم فيه الروس بجيشهم وخبرائهم والديون تتراكم وتتفاقم، والأمة يمتطي الرئيس وأشياعه ظهرها، ويلتهمون خيرها، ويهددونها بزبانية السجون والمعتقلات.. حتى القضاة ـ وهو في أحط مواقف الضعف والهوان ـ تمتد يده الآثمة إليهم، ويفرط في العدوان عليهم، فصح فيه المثل «أسد عليَّ وفي الحروب نعامة»، ولكن لا عجب، فالشيء من معدنه لا يستغرب!!..

❑ لقد مات الرجل بعد أن أضاع الاستقلال والمال والرجال، وجلب الاحتلال، احتلال أصغر دولة وأحقر دولة لأرضه.

❑ مات بعد أن عطل القناة التي كان يتباهى بتأميمها، ومن عجب أن يأمر بتخريب مال الدولة فيأمر بتفجير أعظم باخرة تمتلكها في مياهها، باخرة مكة، وكانت معدة لأن تحمل ألفين وخمسمائة من الحجاج المصريين بأمتعتهم.

❑ مات الرجل ولم يحرر من أرضه شبرًا، بل لم يحرر ذرة.

❑ مات الرجل وهو عسكري، فهزم في أخص خصائصه، وفيما هو أحق وأولى بمعرفته.

❑ مات الرجل الذي كان يصرخ في وجوه المصريين، بل في وجوه العرب قائلاً: خلقت فيكم العزة.

❑ مات الرجل وقد جلب لنفسه ولوطنه وللعرب ذلاً لم يسجله التاريخ لغيره من قبل!!

وهكذا تنتهي حياة كل من طغى وتجبر، وأخذه الغرور فنسي أن اللَّه أكبر.

لقد مات جمال ومصر ترسف في الأغلال، وتعاني من مذلة الاحتلال والانحلال والاختلال، ولم تستطع أن تتحرر إلا بعد رحيله، وبعد أن أطلق الحكام الحريات، وأخلوا المعتقلات، وبعد أن نشروا العدل والأمان، ورفعوا شعار العلم والإيمان، لم تتذوق مصر طعم النصر إلا بعد أن رجع الشعب وقادته إلى اللَّه، واهتدوا بهداه، وأنابوا إليه، وتوكلوا عليه، وبعد أن تعرضوا لنفحاته في رمضان، وبعد أن جعلوا كلمة السر هي (بدر) مستحضرين ذكرياتها، وما ورد في القرآن بشأنها، وبعد أن دوى صوتهم بالتكبير في أرض المعركة وسمائها، بعدئذ ذاقوا حلاوة النصر، وأيدهم اللَّه بروح من عنده.

* قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

* وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

هذا ما قلته، وسأظل أقوله، ولم تجد مقالتي أذنًا صاغية، ولا قلوبًا واعية، فحكمنا جمال حسب هواه، وتجاهل وصايا اللَّه عز وجل، وانخدع

وخدعنا بمبادئ استوردها من الشرق أو من الغرب، ومنح الثقة بلا حدود لدول كبرى منَّته، وغرته، وسار بنا حينًا في ركاب أمريكا واستجاب لتوجيهاتها في البعد عن الإسلام، والتنكيل بالمسلمين، وظل يصادقها حتى غدرت به، وبعدئذ تحول إلى روسيا، واستجاب لها أيضًا في مخاصمة الإسلام والمسلمين، وفي المولد النبوي حملته على أن يحتفل بذكرى (لينين) على المستوى الرسمي والشعبي، ومنحته على ذلك أعظم وسام روسي، وأخيرًا نصحته فخدعته وكبلته حتى يسرت لإسرائيل احتلال أرضه، وأسر رجاله، واغتنام سلاحه وماله ودفعت عملاءها ينشرون الإلحاد، ويعيثون في الأرض الفساد، ولولا لطف اللَّه لحكموا العباد والبلاد!!

لقد سار جمال عبدالناصر في ركاب أمريكا حينًا، وفي ركاب روسيا حينًا، وتجاهل الإسلام، ونكل بأبنائه، واستهزأ بعلمائه، وشغله هذا عن التفكير في مستقبل وطنه.

❑ سيادة الرئيس: هذه دروس فيها عظة وعبرة، لقد نعمنا بالاستقلال فترة وجيزة من الوقت، وعلا صوتنا في زهو وكبرياء، وأمل العرب أن نقودهم إلى التحرير، ونخلصهم من براثن المستعمرين والصهيونية، ولكن إهمالنا لدين اللَّه، وتقاعسنا عن تنفيذ تعاليمه ووصاياه، والبطش بالمسلمين، والتنكيل بعباده المؤمنين، كل ذلك جلب للعباد والبلاد مقت اللَّه وغضبه، وسخطه وعقابه، فضاع منا في أيام، بل في ساعات كل ما كسبناه، بل مكن لأخس الأعداء من أرضنا وجيشنا وسلاحنا وأموالنا، ولا نزال نعالج آثار هذه المحنة، وحتى الآن لم نتخلص من عارها ولا من أخطارها.

يقولون في الأمثال «السعيد من وعظ بغيره»، فاتق اللَّه، وطبق تعاليمه وقوانينه ووصاياه، واحذر أن تستجيب لمن يشير عليك من المصريين أو غيرهم بأن تتبع سياسة جمال في البطش والقهر والتعذيب فتجلب لشعبك وبلدك

الذل والضياع كما جلب، وتستوجب غضب اللَّه كما استوجب، وتندم حيث لا ينفع الندم وتقول: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٧، ٢٨].

❑ سيادة الرئيس: اجعل حكمك يتسم بسمات الحرية في غير مأثم، والقوة في غير بطش، والأمان واليقظة في غير استرخاء، والعدالة في غير إرهاب!!، طبق تعاليم الإسلام السمحة تَهتدِ بنور اللَّه ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

❑ سيادة الرئيس: كن صلبًا في قرارك، وانظر إلى إسرائيل بجوارك، ولا تأمن فالدهر قُلبٌ والأيام دول قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

* وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

❑ سيادة الرئيس: «إن مصر ـ والحمد للَّه ـ بخير، وهي غنية بثرواتها المعدنية والبشرية، وغنية برجالها الأكفاء والأطهار الذين برزوا في كل مجال تحتاجه مصر، وعرفوا مع ذلك بالاستقامة والتدين والخلق الفاضل، وعمق الخبرة، وطهارة اليد، ونقاء السمعة، والتفاني في أداء الواجب والاهتمام بمصلحة الوطن والمواطنين، ولم ينقص من قدرهم أنهم لم يدخلوا حلبة السياسة ولم تشاهدهم الأعين في الساحة.

ألا ترى البحر يعلو فوقه جيف وتستقر بأقصى قعره الدرر

وأمثال هؤلاء لا يخفون على مثل رئيس الجمهورية، ولا يتخلفون عن خدمة الوطن إذا ما دعوا، فاستعن بهؤلاء في إنقاذ الوطن، ورفع شأنه، ورعاية مصالحه، وأطلق يدهم في إصلاح الأوضاع المتردية، ومعالجة شئون الوطن المتهاوية، وفي الأصحاء ما يغني عن المرضى، وفي الأقوياء ما يغني عن الضعفاء، وفي الأطهار ما يغني عمن بدت منه الروائح التي تزكم الأنوف!!.

❑ سيادة الرئيس: ملاحظة عابرة أسوقها إليك، ومعذرة، فقد تعودت الصراحة مع كل الذين سبقوك ممن تولوا على أرض مصر ملوكًا أو رؤساء، وقد عشت طول حياتي وفيًّا لديني ولوطني ولولاة الأمور أخلص في النصح، وأعشق الحرية، قانعًا بفضل اللَّه عليَّ، أعز نفسي، ولا أحني رأسي، أقول كل ما أضمره، وأظهره ولا أستره.

❑ سيادة الرئيس: لقد قلت هذا العام في ذكرى ٢٣ يولية «سوف يسجل التاريخ أحداثه الجسام بمداد لا يفنى، ويحمي حقائقه من حملات التزييف والتشويه والافتراء» هذا قولك، وهو قول حق وصدق، لكنك قلت في نفس الخطاب: «كانت ثورة الثالث والعشرين من يولية عام ١٩٥٢م بقيادة وزعامة جمال عبد الناصر» وقلت أيضًا: «قامت جمهورية مصر وعلى رأسها مصري من صميم تراب هذا الوطن جمال عبدالناصر» لا أدري كيف يصح هذا، والمعروف والثابت واقعيًّا وتشهد به الأمة والعالم كله أن الذي قاد الثورة، وأعلن عن اسمه من أول لحظة، وعرض روحه للخطر هو «اللواء محمد نجيب» وهو أول رئيس للجمهورية، وقد بايعه جمال عبدالناصر، وأخذ له البيعة من الشعب، وبايعه المصريون جميعًا في المساجد، أما جمال فقد اغتصبها من نجيب، ولم يتلق البيعة من أحد، ولهذا لم يبارك اللَّه في رياسته، وانتهت إلى ما انتهت إليه من احتلال وانحلال، وفقدان الأرض

والجيش والسلاح والمال،

❑ سيادة الرئيس: أليس من حق نجيب وفاء له ـ والوفاء من شيم الكرام ـ أن نذكره بالخير، وندعو له بالرحمة على ما قدم لوطنه وشعبه، وعلى ما تحمل من غدر وهوان من صحبه في بلده، ودعك من أبنائه فلا أحب لهم إلا أن يعيشوا كما عاش أبوهم في شظف من العيش يتنازل عن جزء من مرتبه دون أن تمتد يده بحق أو بغير حق إلى خزانة الدولة في حياة أو ممات، وختامًا أسأل اللَّه لك يا سيادة الرئيس أن يقويك بالحق، ويقوي الحق بك، ويجعل عهدك بالصلاح والعدل والرخاء زاخرًا، وبالسعادة والحرية والقوة زاهرًا، ويجعل وطنك بتطبيق شريعة اللَّه عامرًا والسلام عليكم ورحمة اللَّه»[1].

رسالة ودّية إلى رئيس الجمهورية: «لا يجوز لمصر الإسلامية أن تقيم تماثيل لحكّامها السابقين خصوصًا إذا كانت مُكبّلة بالديون»[2]:

لقد جاء في رسالة الشيخ الرباني القوّال بالحق:

إني عشت طول حياتي وفي كل العهود لا أطوي صدري على غش، أمقت الخيانة فلا أرضى أن أخون أحدًا من الناس، حاكمًا أو محكومًا، كبيرًا أو صغيرًا، وكتمان النصح لمن يوشك أن يقع في خطأ أو خطيئة مع العلم بذلك خيانة للنفس، وخيانة للغير، ونعوذ باللَّه من الخيانة، فإنها مغضبة للرب، مهلكة للعبد، مضيعة للأمة والدولة.

❑ سيادة الرئيس: أكتب هذه الرسالة إليك بسبب ما اقترحته من إقامة تمثالين، أحدهما لجمال عبدالناصر، والآخر لأنور السادات، ودعوتك إلى

(١) «صيحة الحق» ص(١٧١، ١٧٨).

(٢) نُشرت بالاعتصام ربيع الآخر ١٤٠٩هـ ـ وأوردها الشيخ بتمامها في كتابه «صيحة الحق» ص(١٩٥ ـ ٢٠٥).

التبرع وإسهامك شخصيًا بألف جنيه لتنفيذ هذا الاقتراح كما نشرت صحيفة الأخبار في الصفحة الأولى العمود الأخير يوم الأربعاء ١٤٠٩/٣/٢٩هـ الموافق ١٩٨٨/١١/٩م.

ورأيي الذي أراه وأسترشد فيه بنور اللَّه، وبنور الإسلام أن هذا قرار خاطئ خصوصًا في هذه الظروف التي بلغت فيها معاناة الشعب في الغذاء والكساء، في التعليم والدواء، في السكن والإيواء حدًّا لم يسبق له مثيل، وصارت الغالبية العظمى ـ وأنا واحد منهم ـ تعجز عن الوفاء بضروريات الحياة، وأصبح كل منا يحدث نفسه في اليقظة والنوم من شدة الهموم وضغط الأفكار!!.

❑ سيادة الرئيس: إن هذا الشعب المصري جاع وضاع، وأكبر دليل على هذا ما نشرته صحيفة الأخبار نفسها في اليوم التالي الخميس بالصفحة الثالثة العمود الأول قالت: «بسبب الزيادة المطردة في عدد السكان نشأت أزمة الإسكان في مصر، واضطر بعض الناس إلى السكنى في القبور».

● وإني أذكرك بقول الرسول ﷺ: «**إن اللَّه سائل كل راع عما استرعاه، حَفِظَ أم ضَيَّع**» رواه ابن حبان في صحيحه عن أنس، وبقوله ﷺ: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت**» أخرجه أبو داود عن عبداللَّه بن عمرو.

خير لك وللأمة يا سيادة الرئيس أن تهتم بما يسألك اللَّه عنه، وبما يسعف المسكين والمحروم، خير لك وللأمة أن تنفق هذه المبالغ في توفير ضرورات الحياة ولو لبعض المحتاجين من خبز وزيت، وفول وعدس، ومسكن اضطراري يقيهم شر الحر والبرد، ويواري عوراتهم.

● لقد قال الرسول ﷺ: «**خير الناس من ينفع الناس**» رواه الطبراني.

❑ سيادة الرئيس: أسأل اللَّه تعالى أن يوفقك لتكون قدوة صالحة في

الاقتصاد، وضغط المصروفات، وترشيد الإنفاق، والحفاظ على المال الخاص والعام، فلا يصرف قرش فضلاً عن جنيه إلا فيما هو ضروري جدًّا.

إن الدولة مدينة بما يعادل مائة ألف جنيه، وفي الشهور الأخيرة كنت يا سيادة الرئيس مشغولاً جدًّا، ترحل من دولة إلى دولة، تحاول فك القيود والأغلال التي وضعها في أعناقنا صندوق النقد الدولي، وأصارحك يا سيادة الرئيس أن الحكومات التي قامت بعد الثورة تحمل عبء هذه الديون، فقد كنا قبلها ندين بريطانيا العظمى بنحو أربعمائة مليون جنية إسترليني، وكنا نجد مطالب الحياة من غذاء وكساء، ودواء بقروش وملاليم، وكنا نمر في الشوارع فنجد لافتات كتب عليها «فيلا للإيجار» «شقة للإيجار» «غرفة للإيجار» «محل للإيجار» أما بعد الثورة المباركة فأصبح الشعب لا يجد حتى مقبرة للإيجار!!

❑ سيادة الرئيس: إنك أدرى من غيرك بوطأة الديون وأخطارها، فكان أولى بك أن تقود الأمة والحكومة في العمل الجدي للخلاص من هذه الديون، بدلاً من أن تقودها في عمل يستهلك مالها، ويستنفد طاقتها، وأحمد اللَّه عز وجل أن وفقني فدفعت في سداد الديون ٩/ ١/ ١٩٨٦م مثل ما دفعته الآن ـ يا سيادة الرئيس ـ لإقامة تمثالين، سيقول بعض الناس: وما قيمة ألف في سداد ملايين الملايين، وأقول: قد حفظنا في الأمثال «إن رحلة المليون ميل تبدأ بخطوة»، وإذا صح العزم، وصدقت النيات، اقتنعت الأمة بخطة جادة محكمة، ووقفنا في وجه الخونة والمرتشين، وحاربنا السرف والفساد، أمكن السداد، وتحقق المراد.

❑ سيادة الرئيس: إن الإسلام يدعو إلى الحفاظ على المال العام والخاص، وينهى عن صرفه في غير ما أباحه اللَّه، وليس مما أباحه اللَّه إقامة التماثيل، وأنقل لك ما قاله علماؤنا الأجلاء: قال العلامة مفتي الجمهورية

السابق الشيخ حسنين مخلوف في الفتاوى الشرعية (/ ١٨٦، ١٨٧):

«تصوير الشيء حيوانًا كان أو غير حيوان قد يكون بصنع جسم على مثاله وهيئته، ويسمى الواحد تمثالاً والجمع تماثيل، وقد يكون برقم صورته، ونقشها على ورق، أو ثوب، أو ستر، أو حائط ونحوها، وتسمى صورة، ومنه الصور الفوتوغرافية المعروفة، فإن كان التصوير لما ليس له روح كالأشجار والبحار والسفن والأبنية ونحوها حل صنعها، واتخاذها مجسمة وغير مجسمة، وإن كان لما له روح كالإنسان والحيوان فإن كانت الصورة مجسمة وهي التي لها ظل كالتماثيل المعروفة حرم صنعها واتخاذها بالإجماع، وورد استثناء لعب البنات منها فرخص لهن فيها وعليه جواز صنع العرائس المتخذة من القماش والقطن أو من الجبس أو الخشب أو الكاوتشوك أو الحلوى وغيرها من لعب الأطفال».

وفي مجلة المنار (١١/ ٣٨٠) قال الشيخ رشيد رضا: «حرم الإسلام نصب التماثيل كما في حديث علي كرم اللَّه وجهه في صحيح مسلم «لا تدع تمثالاً إلا طمسته».

وفي مجلة الأزهر سنة ١٣٥٩ ص(١٦٣) قالت لجنة الفتوى ما نصه: «أجمع الفقهاء على حرمة تصوير الحيوان مجسمًا كاملاً، وقد استثنى بعض العلماء من الصور المحرمة التماثيل الصغيرة التي يتخذها الأطفال لعبة لهم استنادًا لما ورد في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، وفي فتح الباري أخرج أبو عوانة وغيره عن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات وهن اللعب»، ثم قالت: «إذا كان الغرض من التصوير كما قيل إحياء ذكرى العاملين بتصوير أشخاصهم، وبعث النفوس إلى الاقتداء بهم، فإنه قد ينجم عنه بتطاول الزمن ما لا يحمد عقباه في عقيدة التوحيد، فقد صح عن ابن عباس

في أوثان قوم نوح قال: «كان ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت» أخرجه البخاري ثم قالت: «إن تماثيل العظماء التي تقام في الميادين تقتضي نفقات طائلة لو أنها أنفقت باسم هؤلاء العظماء في أعمال البر والصدقات الجارية لكان أجدى وأنفع في تخليد ذكراهم».

سيادة الرئيس: هذا ما قاله علماؤنا الأجلاء في حكم التماثيل، قالوا: إنها غير مباحة وأقول: لو تخيلنا أنها مباحة ما جاز لنا أن نقدم الميت على الحي بما لا نفع لأحد فيه، وما جاز لنا أن ننفق المال الخاص أو العام في مباح ونضيع الواجب في وقت اشتدت فيه حاجة الناس إلى ضرورات الحياة ـ كما أسلفنا ـ إن تشاريع الإسلام حكيمة، وتعاليمه رحيمة، وقد كرَّم الإنسان أيًّا كان هذا الإنسان حتى لو كان على غير دين الإسلام، فلا يسمح بأن تنفق على تمثال ونسد آذاننا على أنين المرضى، وصراخ الجائعين، وسكان القبور، وقد كان من الممكن أن ننشئ باسم من يراد تكريمه مستشفى، أو مدرسة، أو مأوى للمعوقين، أو ملجأ للمحتاجين.

إن الإسلام يحارب الترف، ويحارب السرف في كل شأن من شئون الحياة، حتى في الماء، فقد مَرَّ النبي ﷺ على سعد وهو يتوضأ فقال: «**ما هذا السرف يا سعد**»؟ قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: «**نعم، وإن كنت على نهر جار**» أخرجه أحمد في مسنده، وإذا كان يحارب السرف في الماء فكيف في الأموال التي جعلها اللَّه قيامًا للناس؟!!

إن اللَّه يكره إضاعة المال، وسيحاسبنا عليه، ويسألنا عنه، قال ﷺ: «**إن اللَّه تعالى يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا**

تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل اللَّه جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه اللَّه أمركم، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

● وقال ﷺ: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به» رواه البزار والطبراني.

❑ سيادة الرئيس:

● يقول الرسول ﷺ: «إذا أراد اللَّه بالأمير خيرًا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يُذكره وإن ذكر لم يُعنه» رواه أبو داود عن عائشة، فاختر مستشاريك يا سيادة الرئيس من ذوي الحنكة السياسية، والغيرة الدينية، واتق اللَّه، واعتصم به، وتوكل عليه، وخذ حذرك من الناصريين والساداتيين الذين يحيطون بك، ويحاصرونك، فهؤلاء مشغولون بأنفسهم وزعمائهم الذين أورثوهم المال والسلطان، لا يفكرون في مصلحة الأمة، ولا يهمهم إلا أنفسهم، إن هؤلاء الناصريين والساداتيين لن يمنعوك من اللَّه، ولكن اللَّه يمنعك منهم، فاحرص على مرضاته، وضع نصب عينيك قول الرسول ﷺ: «من التمس رضا اللَّه بسخط الناس رضي اللَّه عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط اللَّه سخط اللَّه عليه وأسخط عليه الناس» أخرجه ابن حبان عن عائشة.

❑ سيادة الرئيس: إن جمال عبدالناصر الذي تقترح إقامة تمثال له انتهك حقوق الإنسان، واشتهر عهده بالاعتقالات، والتعذيب حتى الموت، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، وسلب الحريات، وتجنيد الساقطات، وظلم الأخيار، والاعتماد على الأشرار، وقد عاقبه اللَّه فأنهى عهده بمأساة ومخزاة،

obeikandl.com

فسلب منه السلطة، وأشرك معه في حكم البلاد اليهود والروس، وسلم الأرض والجيش والسلاح لإسرائيل، وبقي ثمن السلاح دينًا في عنقنا، واستصرخ مجلس الأمن لإيقاف القتال، وباع قبل ذلك رصيد العملة الذهبي في حرب اليمن، وكان هذا إعلانًا من اللَّه عن غضبه عليه، وعلى الذين أعانوه، وعلى الذين هادنوه، وأعجب من هذا أنه لم يتعظ، ولم يغير من سلوكه، ولم يتراجع عن ظلمه، فقام بمذبحة القضاء بعد هزيمته المروعة لئلا ينقض له حكم ولئلا تنكشف مخازيه، ولكن اللَّه سلط عليه من حوله فقضوا عليه، وبعدئذ هتك اللَّه ستره بعد موته، وعقب دفنه، فتدفقت المجاري في قبره، كما يعرف الخاص والعام، إن مثل هذا الذي وقع من جمال وقع من ستالين في روسيا، وعلى الرغم من أن ستالين انتهت حياته بعد نصر رائع ضد هتلر فإن شعبه لم يغفر له جرائمه، وانتهاكه لحقوق الإنسان، فحطم تماثيله، ونبش قبره، ورمى به في مكان مهجور، ولا بد للشعوب أن تستيقظ مهما طال الرقاد!!.

وكما كانت نهاية جمال مأساوية كانت نهاية السادات، بعد أن عاد إلى نهج سلفه، كانت نهايته أليمة، وخاتمته وخيمة، فاعتبروا يا أولي الأبصار!!.

❑ سيادة الرئيس: ليست هذه شهادتي وحدي، بل إنها شهادة كل من عاش مع الشعوب بضمير حي، شهادة التاريخ، ويكفي أن أنقل لك شهادة الرجل الذي أقمت له مهرجانًا لفوزه بجائزة نوبل، وقلت في تكريمه كما نشرت الأخبار يوم الثلاثاء ٨/ ١١/ ١٩٨٨ ص(٣): «نكرم هذا القلم الخلاق من أقلام مصر» وقلت فيه: «كان محللاً نافذ البصيرة، ناقدًا حي الضمير، بل كان أحيانًا محتجًا شديد البأس، ومُدينًا للسلبيات والأخطاء والتجاوزات أقوى إدانة، ولقد عَرَّى الانحرافات والانتكاسات في شجاعة فائقة في عهود كانت تلك التعرية تحتاج إلى قدر كبير من الإيمان بالوطن، والتعاطف مع

الشعب، والوقوف إلى جانب الحق» ماذا قال نجيب محفوظ[1] الذي كرمته، قال في مجلة المصور كما نقلت جريدة الأحرار يوم الاثنين ٢٠/٣/١٤٠٩هـ الموافق ٣١/١٠/١٩٨٨م بالصفحة الأخيرة والعمود الأخير:

«المصيبة الوحيدة في حكم عبدالناصر والتي كانت وبالاً عليه هي تأجيل الديمقراطية، لقد طلب من المصريين اعتزال السياسة فتحول المصري من كائن فعال منتم إلى سلبي متفرج، وحتى الآن لا نستطيع أن نضعه على مسرح الحياة السياسية، وهذه مصيبة كبرى، والأكثر من ذلك أنه سلب من داخل المواطن شجاعته وإحساسه بالأمان، وهذا شيء فظيع، ووسط هذا الظلام ظهر الفساد، إن الديكتاتورية هي التي صفت عهد عبدالناصر، وهي التي انتهت بنا إلى ٥ يونيو وقضت على آمالنا وعلى عبدالناصر نفسه».

ولا أنسى ما قاله لي الأستاذ الكبير أحمد حسين تغمده اللَّه بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته، قال لي وقد كان يشفق عليَّ مما أكتبه تعقيبًا على تصرفات جمال عبدالناصر في أقواله وأفعاله مما جمع بعضه في كتاب «وبالحق صدعنا في وجه الطغيان» قال: «إن جريمة عبدالناصر التي لم يسبقه فيها أحد أنه خنث الشعب وليته أنثه».

ثم ترحم أحمد حسين على عهود سابقة كان لا يلقى فيها الناقد ما كان يلاقيه في عهد جمال.

❑ سيادة الرئيس: آمل أن تتقوى باللَّه وبطاعته على نفسك، وعلى من حولك من الناصريين والساداتيين، وأن تقصر جهودك على مصلحة شعبك المظلوم المكلوم المحروم، وأن تكون أمامه مثلاً صالحًا، على وضع المال في موضعه، وفيما هو أصلح وأنفع، وقديمًا قيل: «الرجوع إلى الحق خير من

(١) للشيخ ـ رحمه اللَّه ـ ردّ قوي على نجيب محفوظ وروايته «أولاد حارتنا» أو «موت الإله».

التمادي في الباطل» وفي الحديث يروى عن النبي ﷺ: «أيما عبد جاءته موعظة من اللَّه في دينه فإنها نعمة من اللَّه سيقت إليه، فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من اللَّه عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد اللَّه عليه بها سخطًا» أخرجه البيهقي، أعاذنا اللَّه وإياك من سخطه، آمل أن تقف مع شعبك المحروم المظلوم، تسانده ويساندك، وتتعاون معه ويتعاون معك، وتتعقب الذين أهانوه ونهبوه، وترد له منهم ما سلبوه، وإني أصارحك أن الحراسة المشددة، والتدابير المحكمة تحول بينك وبين معرفة نبض الشعب، فالذين تلتقي بهم من العامة تم بحثهم وفحصهم، ولو قدر لك أن تعس بليل كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعرفت الحقيقة، ولكي تقترب منها أنقل لك هاتين الصورتين:

١ ـ في مطلع عامنا الدراسي وقبل كوبري السواح في الأميرية وعند إشارات المرور كان التلاميذ يهجمون على السيارات كل منهم يقول: (يا عم أعطني ثمن كراسة)، ولا بأس عليهم أن يتعلموا التسول في مطلع حياتهم للفاقة التي أمسكت بتلابيب آبائهم نتيجة الغلاء الفاحش، ووقف المنحة دون إنذار سابق!!.

٢ ـ في مجلة اللواء الإسلامي التي يصدرها الحزب الوطني نشر يوم الخميس ٢٣ ربيع الأول ١٤٠٩هـ في الصفحة الأولى بآخر عمود أن علماء الإسلام أفتوا في الندوة التي أقيمت (بأن الموظفين الذين لا يكفيهم مرتبهم يستحقون الزكاة)، وفي هذا دلالة لا تخفى على لبيب، فقد كان الموظف قبل الثورة محسودًا، وكان المثل المشهور «إن فاتك الميري تمرغ في ترابه» فأصبح الآن في أسوأ حال، عديم الجاه والمال، ولم يعد أمامه إلا أن يرتشي، أو يختلس، أو يتقبل الصدقات.

❑ سيادة الرئيس: بقي علي أن أدلك على عمل خيري أجدى وأنفع من إقامة التماثيل تنال به رضا اللَّه عز وجل، وتكسب به دعوات الأطفال، ففي

قريتنا (دمنكة) مركز دسوق معهد ديني ابتدائي أوشك على السقوط فهدمناه وشرعنا في بنائه، ولما يكتمل، وأصبح الأطفال مهددين في الشتاء والمطر والوحل بأن يرحلوا إلى مدرسة في قرية شمالاً وأخرى جنوبًا، فاسحب يا سيدي هذا المبلغ الذي تبرعت به وتعال معي إلى القرية لتدفعه بنفسك، ولتسعد القرية والمحافظة بمشاهدتك، وستكون مناسبة سعيدة، وذكرى مجيدة، ووفاء بالقسم الذي أديته بأن تحترم الدستور، وتلتزم بدين اللَّه وشريعته، وتحرص على مصلحة الشعب وراحته.

حفظك اللَّه ورعاك، وسدد خطاك، وجعلك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته»[1].

*** الشيخ محمود فايد ونجيب محفوظ:**

❑ قال الشيخ فايد في كتابه «صيحة الحق» ص(٢٦٠):

«ليس بمعقول أن نستنكر رواية «سلمان رشدي» «آيات شيطانية» ونروّج لرواية «أولاد حارتنا»، وكلتا الروايتين حرب على تعاليم الإسلام، وما فيهما من تهجّم وخروج على الأصول الدينية يستدعي التحقيق مع كلا المؤلفين، فإن تابا توبة حقيقية؛ وأعلنا تراجعهما، وقاوما نشرهما فليس لنا عليهما من سبيل وإلاّ حوكما وطبق حكم اللَّه.

ونحيل إلى أن نجيب محفوظ استسلم لحكم الأزهر على روايته، ولكن على الأزهر أن يبذل معه جهدًا آخر حتى يأخذ بيده إلى الطريق السليم».

*** الشيخ فايد ووزير التعليم:**

❑ يقول ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه القيم «صيحة الحق» ص(٢٦١):

---

(١) نشر في مجلة «الاعتصام» ربيع الآخر ١٤٠٩هـ. وفي كتاب «صيحة الحق» ص(٢٠٦ ـ ٢١٥).

«لي كلمة خاصة أوجهها إلى وزير التربية والتعليم، كفانا ما حلّ بنا من مقت وغضب نتيجة تجاهلنا لشرع اللَّه، ولا أظن الوزير يقبل أن يحذف «لقمان يعلّم ابنه» وهي وصايا لقمان لابنه في القرآن، ويستبقى «جحا يعلّم ابنه»، لا أظنه يقبل أن يحذف من المقرر شخصية «صلاح الدين» البطل الإسلامي ومحرر القدس، ويقرر شخصية «والت ديزني» أمير الصور المتحركة؟!!!!».

*** الشيخ محمود عبدالوهاب فايد والمحجوب:**

ومن على فراش المرض انبرى الليث الشيخ محمود فايد يردّ على المناوئين لشرع اللَّه فكتب مقالاً نشر في الاعتصام عدد رمضان وشوال ١٤٠٥هـ ـ يونية ويوليه سنة ١٩٨٥ تحت عنوان «الأمة بعقلائها تناشد زعيمها أن يخلصها من المناوئين لشرع اللَّه».

وقال: «يا سيد رفعت: من العار علينا في مصر ألا نطبق شريعة اللَّه ونحن بلد الأزهر الذي يمثل أكثر من ألف مليون مسلم.

من العار علينا في مصر أن يُؤخذ رأينا في شريعة اللَّه واللَّه تعالى أدرى بمصالحنا وحاجتنا وليس رفعت المحجوب».

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «لم يعد خافيًا على أحد أن الصراع بين من يريد تطبيق الإسلام وبين الحكام المعاصرين صراع جاد حاد، فالذين بهرتهم النظم الأجنبية: غربية أو شرقية يعارضون تطبيق الشريعة الإسلامية، ذلك لأنهم لم يدرسوها ولم يفهموها، ولم يوجهوا عنايتهم إليها، وقديمًا قيل: «من جهل شيئًا عاداه»، وصدق اللَّه العظيم: ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ**﴾ [يونس: ٣٩] والذين درسوها، وفهموها، وآمنوا بها يطالبون بالإسراع في تطبيقها، استجابة لدواعي الإيمان، وتمشيًا مع ما تقتضيه فطرة الإنسان، وتلبية لحاجة المجتمع، ومراعاةً لظروفه، ومعالجة لأمراضه التي استشرت

وتفاقمت ولم يعد قادرًا على علاجها إلا اللَّه عز وجل، وقد أصبح هذا المطلب مطلبًا شعبيًّا اضطرت جميع الأحزاب حتى حزب «التجمع اليساري» إلى أن تسجله في مطلع مناهجها، استرضاءً للشعب، وأملاً في كسب أصوات المواطنين. ونزولاً على رغبة الشعب أُلِّفت لجان متخصصة تضم صفوة الخبراء والفقهاء والقانونيين والاقتصاديين، والأساتذة الجهابذة، ورجال الفكر وعلماء الشريعة ليقوموا بصياغة قوانين جديدة توائم روح العصر وتتفق مع ما شرعه اللَّه، وتنسجم مع عقيدة الشعب وظروفه لتكون الاستجابة تامة وعامة، ومن أعماق القلوب، فلا يقع تحايل في التهرب منها، ولينعم الشعب في ظلالها بالأمان والاستقرار، والحب والعدل، والخير والرخاء، وفرغت هذه اللجان ـ بعد نحو خمس سنوات من العمل المتواصل ـ من إعداد كل القوانين وصياغتها، وانتهت من مراجعتها مراجعة دقيقة، ثم رفعتها إلى رئيس مجلس الشعب الأسبق الدكتور صوفي أبو طالب، وقام هو برفعها مع ما أرفق بها من تقارير إلى الأزهر ليراجعها مجمع البحوث الإسلامية مراجعة نهائية كما شهد بذلك الأستاذ عبدالمغني سعيد أحمد أحد وكلاء الوزارات وأحد المشاركين في إعدادها[1].

وبادر الأزهر بمراجعتها وأعادها إلى مجلس الشعب في تقرير عنها، كما أكّد ذلك مكتب الإمام الأكبر في بيان أصدره، وكما اعترف بذلك الأستاذ عبدالمغني سعيد في كلمة له[2].

إذن فالقوانين تمّ إعدادها ومراجعتها، وهي جاهزة لا ينقصها إلا أن يعتمدها مجلس الشعب، وحق المجلس إنما هو في أن يتأكد من أنها مطابقة

(١) انظر جريدة الوفد أول جمادى الآخر سنة ١٤٠٥ الموافق ٢١ فبراير سنة ١٩٨٥ الصفحة الرابعة.

(٢) نشرت كلمته جريدة الوفد ٢٢ جمادى الآخرة الموافق ١٤ مارس بالصفحة الرابعة.

تمامًا للشريعة، فإذا ثبت له ذلك فليس له خيار في أن يعتمدها، فالمولى يقول في كتابه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الاحزاب: ٣٦].

* وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

بعد هذا المجهود الذي اشترك فيه أعظم رجالات مصر، واستغرق وقتًا طويلاً وأنفق عليه الكثير من مال الدولة، كان من اللازم على «رفعت المحجوب» رئيس مجلس الشعب أن يحيّي الذين قاموا به ويشكر لهم ما بذلوه من جهد، ويتابع السير، ويواصل الخطى حتى يتم للشعب بجميع هيئاته تحقيق مطلبه السامي المقدس، ولكن المحجوب مع الأسف أنكر هذا الجهد، وتنكّر لمن قاموا به وزعم أنه لا توجد لديه مشروعات قوانين، وانبرى للرد عليه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أعانه اللّه وثبته فأدلى بحديث قيم هادئ رصين وضع فيه النقط على الحروف، ونُشِر في أخبار اليوم ١٩٨٥/٢/٢٣ في الصفحة السابعة.

هذا هو الإمام الأكبر وضع النقاط على الحروف حينما انبرى للرد على افتراءات المحجوب هل قرأ المحجوب هذا الدرس؟ هل فهمه؟ هل وعاه؟ هل تأثر به؟ هل وجد كلام شيخ الأزهر الهادئ المؤيد بالدليل طريقًا إلى قلبه وإلى قلوب نفر على شاكلته؟!! لا... ولا أدري لماذا يخطر على قلبي في

تفسير هذا الموقف قول اللَّه تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. ماذا صنع المحجوب الذي جيء به من وراء الأمة فلم يجد عناءً في مقابلتها، ولم تلتق به لتثبت رغباتها؟! ماذا صنع؟ لقد قام بحركة لم يخف هدفها على أحد، أعلن آنئذ تأجيل نظر تطبيق الشريعة إلى «مايو» عسى أن تهدأ الأعصاب الثائرة، ويتفادى هذه الصواريخ التي أطلقها شيخ الأزهر «يكون مجلس الشعب قد خالف موكله وهو الشعب ولا أقول خانه فإني أنزه مجلس الشعب أن يخون شعبه» وعسى أن يتفاهم مع نفر على شاكلته لتمييع القضية وتمطيطها... ويشاء اللَّه أن تضغط الأحداث فيقع من الجرائم ما لا عهد لمصر به، ويشتد الهلع، ويتفاقم الفزع، ويصرخ الشعب ويولول ويطالب من جديد ويستحث ولاة الأمور على الإسراع بتطبيق شريعة اللَّه عسى أن ينعموا برضاه ويفوزوا بهداه... وفي هذه المرة تنضم حملة الأقلام النظيفة، وينضم قضاة مصر إلى العلماء وإلى الأمة يطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية، والإسراع في تنفيذ الأحكام الإلهية.

وفي جريدة الأخبار الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٤ مايو سنة ١٩٨٥ في الصفحة الثالثة العمود الأول كتب جلال الدين الحمامصي تحت عنوان: «هل هم ـ أي الأمريكان ـ ولاة أمورنا؟ ومن منحهم هذه الولاية ما يفيد أن الأمريكان مهتمون بهذه القضية اهتمامًا بالغًا وهم مبتهجون بأساليب المحجوب الخفية، ونجاحه في تأجيل نظر القوانين الإسلامية».

وهكذا انكشف الغطاء وزال الخفاء وعرف الناس من يعمل بوحي من الرحمن ومن يعمل بوحي من الشيطان... ومن حظي برضا اللَّه، ومن حظي برضا الأمريكان... وفي الختام نسوق هذه الآيات:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ١٩ ـ ٢٧].

* وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢٧].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٢ ـ ١٧].

* وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

* **قذائف الحق:**

كانت للشيخ محمود عبدالوهاب فايد صولات وجولات تصدى فيها للدفاع عن الإسلام منها.

❑ رده على مقالات نائب رئيس حزب الوفد الجديد الدكتور وحيد رأفت حول قضية الدين والوطنية نشر بمجلة الاعتصام ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٤٠٦هـ - يونية ويولية ١٩٨٦م.

❑ ومنها رده على الغزالي حرب فيما كتبه عن الردة وقوله بعدم قتل المرتد بأن أئمة المذاهب الأربعة على العمل بالسنة ومن أجل هذا أخذوا بالأحاديث التي وردت في قتل المرتد وورد هذا المقال بمجلة الاعتصام شوال ١٣٩٧هـ - ديسمبر سنة ١٩٧٧م.

❑ ثم رده على خلف اللّه وأمينة السعيد بمقال نشر في الاعتصام جمادى الأولى سنة ١٣٨٤هـ بعنوان «أتدعون إلى التجديد أم إلى التبديد؟!!».

❑ ورده على عبدالستار الطويلة تحت عنوان «بل الإسلام دين ودولة»[1].

* **وقفته مع الدكتور البهي:**

كتب الشيخ في مجلة الاعتصام مقالاً بعنوان «المساجد في عهدين» وفي ختام كلمته قال: «وبعد... فهل آن لنا أن نهتم بالمساجد، ونوليها عنايتنا حتى يمكن لها أن تضطلع برسالتها، وتقوم بدور إيجابي في خدمة وبناء الدولة أرجو ذلك، وإن كنتُ قد صُدِمت في هذا الأمل حين وجدت ابن الأزهر ووزيره الدكتور البهي قضى ليلة الجمعة متهجدًا في محراب الفن مع الكاسيات العاريات والمغنيات في حفل ساهر[2]، أقيم لمعونة فلذاتنا أبناء

(١) «صيحة الحق» ص(٢٦٣ - ٢٧٧).

(٢) حضر الحفل بتكليف من الرئيس جمال، وكان من واجبه أن يعتذر ولو أدى ذلك إلى استقالته.

الجزائر، ونسي ما أدلى به من قبل في حديث صحفي أن الإسلام يطلب الزينة للزوج فقط لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ تُراه غض بصره عن الآية الكريمة؟ أم تراه ـ وهو الذي يدرس الإسلام من المصحف ـ عثر على دليل بالإباحة لا يعلمه علماء الأزهر؟ أم تراه اهتدى بقول الشاعر الظريف:

فياله من عمل صالح يرفعه اللّه إلى أسفل

لقد كنت أودّ أن يرأس وزير الأزهر حفلات المساجد لا حفلات المسارح» ـ رحمه اللّه وغفر له ـ.

❑ ثم يتصدى الشيخ محمود عبدالوهاب فايد لقضية الربا ويرد على الذين يبيحون ما حرّمه المفتون السابقون والإمام الأكبر الشيخ جاد الحق ومجمع البحوث ومجامع الفقه في العالم الإسلامي وذلك في مقالات نُشرت بالاعتصام وذلك في ربيع الآخر ١٤١٠هـ.

وقال: «بإباحة المفتي لشهادات الاستثمار فإنه بذلك قد منح البنوك الربوية ـ في مسلكها الشيطاني الخبيث شهادة صُنِعت في مطابخ السلطة وطبعتها وأعدتها وطرحتها للتداول بين المسلمين في مصر دار الإفتاء»[1].

وقال: «المفتي الذي أباح شهادات الاستثمار لم يستطع طوال تاريخه الوظيفي أن يفك أسر قانون واحد من القوانين الإسلامية التي حبسها الحكام في زنزانة مجلس الشعب... تشكو إلى اللّه سجّانيها»[2].

❑ ووقف مع المحرّض لهذه الفتاوي الدكتور عبدالمنعم النمر بمقال نشر بالاعتصام في جمادى الأولى سنة ١٤١٠هـ وقال:

«فإني أرفض بإباء وأنفة وحميّة إسلامية أن أكون مطيّة لليهود يعبرون

(١، ٢) «صيحة الحق» ص(٤٣٧).

عليها إلى غرضهم في نشر نظمهم الربوية، وتثبيت أوتادها والترويج لها في عالمنا الإسلامي»[1].

*** وقفة جريئة للشيخ مع بيان كبار العلماء سنة ١٩٨٩م:**

ثم تصدى ـ رحمه اللَّه ـ لبيان كبار العلماء الذي شارك في إعداده الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمد الطيب النجار والدكتور عبدالمنعم النمر والشيخ عبداللَّه المشد والدكتور يوسف القرضاوي، وتلاه في صحن الأزهر بين آلاف المستمعين الشيخ محمد متولي الشعراوي يوم الأحد أول يناير سنة ١٩٨٩م.

قال الشيخ فايد في رده:

إن هدفنا جميعًا هو إطفاء الفتنة، وتهدئة الخواطر، وإعادة الصفاء والألفة والثقة بين الشباب والحكومة، والعلاج في الاستمساك بالشرع، والتحاكم إليه، وقد نبهنا اللَّه تعالى لهذا وهو أصدق القائلين فقال: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٣].

إن لجوء الحكومة إلى الأزهر وعلمائه أعاد إلى الذاكرة مواقف قديمة كان الأزهر فيها قاعدة للانطلاق ضد المفسدين والظالمين، وضد الملحدين والمارقين، وضد الخونة والمستعمرين، وكان علماء الأزهر هم القادة الذين يرجى على يدهم الخلاص، كانوا سفراء بين الشعب والحكومة، ولهم الكلمة الفاصلة، والوساطة المقبولة، ولا ننسى موقف «الشيخ أحمد الدردير» ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حين لجأ الأهالي إليه شاكين ما حلَّ بهم من جور، فانتفض الشيخ للأمر، وتزعم ثورة ضد الظالمين أفزعتهم، وحملتهم على أن يستجيبوا للشيخ ونصائحه، ويكفوا عن المظالم، ويحسنوا إلى الشعب،

(١) «صيحة الحق» ص(٤٥٦).

وكذلك وقف الشيخ الشرقاوي شيخ الأزهر ومعه العلماء ضد الولاة يدافعون عن حقوق الشعب حتى أذعن الحكام لهم وكان من القرارات التي وافقوا عليها:

١ ـ ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها الشعب.

٢ ـ أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم.

٣ ـ ألا تمتد يد ذي سلطان إلى فرد إلا بالحق والشرع، انظر «الأزهر في ١٢ عامًا» ص(٢٠، ٢١).

نعم إن ما جرى من الحكومة يعرب عن تقديرها له، واعترافها بمكانته، ومكانة علمائه، وفضلهم، وأثرهم في المحيط المصري والعربي والإسلامي والعالمي، ولهذا لاذوا بشيوخه، وهرعوا إلى جنباته، وارتضوا حكم رجاله، ويرحم اللَّه شوقي إذ يقول:

واخشع مليًّا واقض حق أئمة ... طلعوا به زهرًا وماجوا أبحرًا

كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانًا وأفخم مظهرًا

زمن المخاوف كان فيه جنابهم ... حرمُ الأمان وكان ظلهم الذرا

من كل بحر في الشريعة ذاخر ... ويريكه الخلق العظيم غضنفرًا

نعم هكذا كان الأزهر، وهكذا ينبغي أن يكون.

لقد استبشرت خيرًا وقلت في نفسي: إن هؤلاء وافتهم فرصة ذهبية تاريخية قل أن يجود الزمان بمثلها، فالشعب والحكومة كلاهما ينتظر منهم الكلمة الفاصلة، فيما تموج فيه الدولة من أحداث، وما يقع فيها من جرائم، وما يحدث فيها من فتن، وما تتعرض له من أخطار، فواجب عليهم أن يدرسوا كل قضايا الساعة، وكل أوزار الحكم، ويفحصوا أمور الدولة من جميع الجوانب، وبعد الدراسة المتأنية العميقة التي تشخص الأمراض يضعون العلاج في كلمة فاصلة مفصلة، واضحة موضحة في كل ما ألم بالدولة

والأمة، حدث هذا وصدر البيان، وفي رأيي أنه لم يكن مشبعًا ولا مقنعًا، وأنه اكتفى بفض الاشتباك بين الشباب والحكومة دون أن يتوغل في معرفة الأسباب، ويعمل على إزالتها ضمانًا للمستقبل، لقد صيغ البيان بأسلوب موجز اختيرت كلماته، وروجعت بدقة وعناية قبل قراءته، بل قبل الإعلان عنه، وهو يذكرنا بما كنا ندرسه في الأزهر من (متون) لا يستوعب الطالب معانيها إلا بعد مطالعة ما كتب عليها من (شروح)، وما كتب على الشروح من (حواشي) وما كتب على الحواشي من (تقريرات) مثال ذلك في البيان:

(وثقتنا كبيرة في دولتنا أن تزداد حرصًا على إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وتدعيم الفضائل والقيم الدينية والخلقية).

فهؤلاء الذين كتبوا البيان يشهدون للدولة ـ أي رجالها ـ بأنها حريصة على إحقاق الحق... إلخ، ولكنهم يطالبون منها زيادة الحرص، وهذه شهادة سجلها للدولة سبعة من كبار الشيوخ وخيارهم، وهم يؤمنون بأن اللَّه سائلهم عنها، وشهادة اثنين تكفي في نظر الشرع، فكيف بسبعة من جلة العلماء؟!!!.

ومن المعروف أن كلمة (الحق) كلمة جامعة لكل ما يستحسنه الشرع، ويعود بالخير على الفرد، أو الأمة، أو الدولة، بعكس (الباطل) فهو يعني ما ينكره الشرع، ويسيء إلى الفرد، أو الأمة، أو الدولة، ومشايخنا الأكابر ـ حفظهم اللَّه ـ استغنوا بالإجمال عن التفصيل إبراء للذمة أمام اللَّه، وأمام الأمة، ولا أدري كيف نصنف هذه الوقائع، وفي أي خانة نضعها، أفي خانة الحق، أم في خانة الباطل؟!!.

لا أدري هل إقامة تماثيل للحكام الذي طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وظلموا العباد ولا تزال الدولة والأمة تقاسي العناء والغلاء والبلاء نتيجة سياستهم الخرقاء، أهذا من الحق الذي يجب أن تزداد الدولة حرصًا عليه، أم من الباطل الذي يجب إبطاله والإقلاع عنه، والتوبة منه؟!.

لا أدري أيكون اعتقال النساء والأطفال والأبرياء على الرغم من تبرئتهم في ساحة القضاء أيكون هذا من الحق أم من الباطل؟!.

لا أدري أيكون عرض الأفلام الهابطة، وإذاعة الروايات الساقطة التي تعلم الشباب العنف والجنس والرذيلة وتفسد أخلاقهم، أيكون ذلك من الحق أم من الباطل؟!.

لا أدري أيكون مكافحة الجماعات الإسلامية الذين برأهم القضاء مما نسب إليهم من عنف بعادل إمام ومسرحية الواد سيد الشغال أيكون ذلك من الحق أم من الباطل، لقد فاز عادل إمام بزفة إعلامية لا مثيل لها، فاقت الزفة التي ظفرتم في الأزهر بها، ودامت زفته أيامًا ولياليَ في حمى السلطة وترفها وسرفها وصلفها مع الاعتذار للخزانة المدينة لا أدري أيكون تكريم نجيب محفوظ لفوزه بجائزة نوبل على المستوى الرسمي والشعبي بإيعاز من أجهزة الدولة على الرغم مما في روايته التي فاز بها من تهجم على اللَّه ورسله وكتبه ثم إهمال الشيخ الغزالي بعد فوزه بجائزة فيصل في خدمة الإسلام أيكون ذلك من الحق أم من الباطل؟!.

أسئلة كثيرة وكثيرة جدًّا يتعطش شعبنا إلى معرفة إجابتها ولا نجد في البيان ما يعين الشباب على فهم الجواب؟!.

وبصراحة أقول: إن البيان يحتاج إلى شرح وحواش وتقريرات، وعلى الذين صاغوه أن يسارعوا بذلك ليكون بيانهم مشبعًا مقنعًا، كافيًا شافيًا تنتفع به الحكومة، وينتفع به الشعب!!.

ومهمة الأطباء أن يصفوا دواء لكل داء، وأن يرشدوا المرضى إلى ما يتعاطونه، وإلى ما يتحاشونه، وفي اعتقادي أن الذين وضعوا البيان أحسوا أيضًا بقصوره، وأنه يحتاج إلى إضافة ليكون مستساغ الطعم لدى الشعب، فطالب الشيخ الشعراوي قبل أن يقرأ البيان من الصحيفة التي في يده، طالب

باعتماد مشروعات القوانين الإسلامية التي وضعت على الرفوف، وطالب الشيخ محمد الطيب النجار بأن تتجنب الدولة العنف في تعاملها مع الشباب، وتسارع بالإفراج عن المعتقلين.

وأرى أن هذه المطالب هي أهم المطالب، وبها تنتهي الفتنة، ويستتب الأمن، وتسعد الأمة والدولة، وكان من الواجب أن توضع في صلب البيان لتبرز في صورة مطالب أجمع عليها العلماء، لا صورة مطالب فردية، وليكون لها من القوة ما يحمل الحكومة على سرعة الاستجابة لها، وما يحمل الشباب على حسن الظن بعلمائهم، والثقة بهم، والانقياد لهم، وأيضًا ليغلقوا الباب في وجه أجهزة الإعلام المغرضة التي تحاول أن تشوه صورتهم أمام الأمة، وتبرزهم بأنهم مع الحكومة، وضد الشباب على طول الخط!!.

*** لقد تضمن البيان أموراً ثلاثة على جانب كبير من الأهمية:**

١ ـ استنكار تكفير الدولة وأفراد الأمة، ولا يختلف حكيم منصف مع الشيوخ في أن المسارعة إلى التكفير دون تثبت يعتبر عملاً مستنكرًا شرعًا ويؤدي إلى فساد عظيم، ودولتنا والحمد للَّه تسجل في دستورها هذا المبدأ العظيم: (الإسلام دين الدولة الرسمي، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر لقوانينها)، والشعب كذلك أكد هذا وأجمع عليه في الاستفتاء وطالب ولا يزال يطالب في إلحاح بالإسراع في التطبيق.

٢ ـ الدفاع الحر عن ولاة الأمور، والمديح الوافر، والثناء العاطر على المسئولين، والاعتذار عن إرجائهم للقوانين الإسلامية التي أنجزت بأنهم في انتظار الوقت المناسب، وفي هذا يقول البيان بالحرف:

«ونحن نعتقد في إيمان المسئولين بمصر بأنهم لا يردون على اللَّه حكمًا، ولا ينكرون للإسلام مبدأ، وأنهم يعملون على أن تبلغ الدعوة الإسلامية

مداها تحقيقًا وتطبيقًا، لكن انتظار الوقت المناسب هو الذي يدعو إلى التريث».

وهذا ـ فيما أظن ـ هو الذي دعا الشيخ الشعراوي ورفاقه إلى أن ينفوا عن أنفسهم أن يكونوا من علماء السلطة أو في خدمة الشرطة!!.

ومعنى ما قاله أصحاب الفضيلة أن الشباب مطالب بأن يحذو حذو العلماء الثقات فيعطى للحكومة ثقته وولاءه ـ كما فعلوا ـ وعليه ألا يستعجل تطبيق الشريعة الإسلامية، ويطمئن إلى أنه إذا جاء الوقت المناسب فستبادر الحكومة بتطبيقها فورًا!!.

وهنا أجدني مضطرًا إلى أن أوجه هذا السؤال إلى مشايخنا الأكابر خصوصًا إلى الشيخ الشعراوي: لماذا دعا الحكومة إلى إخراج مشروعات القوانين الإسلامية الموضوعة على الرفوف، أليس الأولى ـ وهو يتبنى هذا المبدأ ـ أن يترك الحكومة ـ وهو واثق فيها مُثْنٍ عليها ـ اختيار الوقت المناسب، أم أنه يختلف معها في الوقت ويرى بأنه قد حان الآن؟!!.

إذن فليعذر الشباب المسلم إذا طالب ـ كما يطالب فضيلته ـ بالإسراع في تطبيقها ليضمن لنفسه عيشة راضية مرضية، وحياة طيبة آمنة مستقرة في ظلال شريعة اللَّه الجامعة لكل خير، المانعة لكل شر، ومن حق الشباب عليه أن يساندهم، ويشكر لهم حرصهم، ورغبتهم في الاحتكام إلى الإسلام، والتزام الدولة بتعاليمه، ويحمد لهم ما يتحملونه في سبيل الدعوة من أذى مادي ومعنوي في أنفسهم وأهليهم، وأموالهم، وأعراضهم، وتشويه سمعتهم، فنالوا من الدعوة كل غرم، ولم ينالوا منها أي غنم إلا رضا اللَّه عز وجل، وكفى به مغنمًا، وكفى باللَّه وليًّا ونصيرًا.

٣ ـ الأمر الثالث: الذي تضمنه البيان هو أن مسئولية تغيير المنكر باليد تقع على عاتق من له ولاية في حدود ولايته حتى لا يؤدي إلى شيوع

الفوضى، أو الوقوع فيما هو أشد ضررًا، وأعظم خطرًا، وهذا كلام سليم يتفق عليه الفقهاء الحكماء ولا يختلف أحد فيه، واللَّه تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وتطبيقًا لهذا يجب فتح الأبواب للدعاة ليقاوموا الشر بالوعظ في المساجد، والنوادي، والأماكن العامة، وهذا يستلزم إلغاء القوانين التي تعترض الدعاة، وتهددهم بالعقاب، وتحول دون هذا الواجب ومهمة العلماء لا تقتصر على وعظ المحكومين، بل تتطلب وعظهم».

وهنا يذكر الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ عن أجهزة الإعلام الرسمية جرائم ومنكرات مذهلة لا يجوز السكوت عنها ثم يعقب بقوله:

«مشكلات كثيرة، وجرائم خطيرة متنوعة، منها ما يتعلق بنظام الحكم القائم، وكلها تحتاج إلى بحث ومراجعة ومعالجة، ولا يجوز أن نغلق أعيننا، أو نتهرب منها!!.

يجب أن يثبت العلماء حضورهم في الساحة، ويبذلوا جهودهم الصادقة والمتواصلة في علاج ما يعرض من مشكلات، ويتعرفوا على أسبابها، ليستأصلوا جذورها، ويجتثوا بذورها، ولا يكفي سبعة من العلماء ولا سبعون، بل لا بد أن نجند كل العلماء الصادقين الغيورين، ونضع كل إمكانيات الدولة في خدمتهم، لا بد من إقامة مجلس دائم، نشيط يقظ، لا ينتظر دعوة من أحد، بل يقوم بواجبه على الفور نحو ما يقع، وما يجد من أحداث تعرض سلامة الوطن والمواطنين للأخطار، يتعمق في البحث والفحص والعلاج على ضوء شريعة اللَّه، ويتخذ القرارات، ويتابع التنفيذ، وتبدو عليه مظاهر الحياة والحركة.

لقد كان من اللازم على العلماء الذين طلب منهم أن يبدو رأيهم أن يثبتوا حضورهم في كل ما يجري على أرض الوطن، ويوضحوا حكم اللَّه في كل هذه الأحداث ولو لم يطلب منهم، فالعلماء مطالبون بتغيير المنكرات، إن لم يكن باليد فباللسان والبيان، كان من اللازم أن يطالبوا بإعدام جالبي المخدرات، ومغتصبي الفتيات، وإنزال عقوبة قطاع الطريق على من يسرقون بالإكراه، ولا أظن الفرصة قد أفلتت من أيديهم، فلا يزال الخطر قائمًا، والأمر موكول إلى ضمائرهم، فلينهضوا بما أوجبه اللَّه تعالى عليهم، وما تنتظره الأمة منهم، وليصلوا حاضرهم بالأزهر بماضيه العريق!!.

* **أيها العلماء:**

لو قمتم بواجبكم في الدعوة على الوجه الأكمل، وصدعتم بالحق، وتحملتم كما كان يتحمل الرسول ﷺ في التبليغ ما وجد الشباب ـ الذين تتهمونه بالجهل والتطرف ـ سبيلاً إلى ما يقوم به، أو ما ينسب إليه، ولأغلقتم باب الفتنة، ونلتم رضا اللَّه والحكومة والأمة، وإلا فماذا يصنع الطالب الجامعي إذا رأى أمه ـ تغتصب أمامه وأمام أبيه، هل يصبر حتى يغيثه بوليس النجدة، أو حتى يتداركه أصحاب الفضيلة وورثة الأنبياء بموعظة بليغة مؤثرة، إن ما يتكون لديه من عقد نفسية تجعله يسارع بالانضمام إلى من يبشره بأن لديه علاج كل داء!!.

إن الفساد تعاظم وتفاقم، ولكي نقضي عليه يجب أن تهتم الدولة بنشر الثقافة والتربية الإسلامية في المدارس، وفي جميع أجهزة الإعلام ويجب أن نبادر بتطبيق شريعة اللَّه وقوانينه، ويجب أن يحرص العلماء والحكام على الانضباط في القول والفعل، وعلى أن يكونوا صورة طيبة، وقدوة صالحة، ومثلاً عليًا تجذب إليهم كل من رآهم، أو سمع عنهم، ويجب أن يتعاون العلماء والحكام والشعب وجميع الأجهزة المسئولة على البر والتقوى لا على

الإثم والعدوان، ويجب عندما نختلف في الرأي أن نلتزم بآداب الحوار، ونتجادل بالتي هي أحسن، فبهذا نعمل على نشر الخير والفضيلة وإزالة الشر والفساد والجهل والرذيلة وبهذا ندعم الدولة، ونقوي الصلة بين أفراد الأمة، ونوثق الروابط بين الشعب والحكومة، ونعيش في سعادة وأمن واستقرار.

*** أيها العلماء:**

إن الأمر جد، وليس بالهزل، فعلينا أن نرتفع إلى مستوى الأحداث، ونتكتل لدرء الأخطار عن الوطن والأمة، بخطة مدروسة، وليس يكفي أن نلقي بيانًا خاطفًا في مظاهرة إعلامية موجهة، بل لا بد من علاج حاسم نستمده من شرع اللَّه ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وفقنا اللَّه جميعًا لخدمة الدين والوطن، واللَّه تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل[1].

*** للَّه درك من إمام:**

بعد أن طوّفنا في بستان شيخنا الجليل بقية السلف الشيخ محمود عبدالوهاب فايد... لا يستطيع القلم مهما أوتي من لسن وفصاحة ومهما سطر القلم فلن يوفي ذلكم الإمام الرباني الصادق حقه... وسّع اللَّه نزله وأكرم مدخله وأظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ورزقه الفردوس الأعلى ومتّعه بالنظر إلى وجهه الكريم جزاء ما ذبّ عن دين اللَّه وصدع بالحق في وقت صمت فيه الجميع سقى اللَّه أعظمه التي عزّ عليها أن تلين قناة الدين.

---

(١) مجلة الاعتصام، العدد ١٠، يناير ١٩٨٩م، وكتاب «صيحة الحق» للمؤلف ص(٤١١ ـ ٤٢٧).

* أحمد حسن الزيَّات ينافق عبدالناصر فيقول «الوحدة الناصرية أبقى وأنمى من الوحدة المحمدية» فيرد عليه ليث الإسلام محمود فايد بمقالين:

كتب الشيخ محمود فايد تحت عنوان:

الوحدة المحمدية
خير وأبقى من الوحدة الناصرية
رد على مقال أحمد حسن الزيات بمجلة الأزهر

[نشرت في الاعتصام عدد ربيع الأول عام ١٣٨٣هـ الموافق أغسطس عام ١٩٦٣م في حياة عبدالناصر]

في مجلة الأزهر شهر المحرم سنة ١٣٨٣هـ كتب مديرها ورئيس تحريرها [أحمد حسن الزيات] مقالاً تحت عنوان: (أمة التوحيد تتوحد) وقد جاء فيه ما نصه (ص٤ ـ س ٧ ـ ١٨):

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول.. وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان.. والسلطان يعتريه الوهن فيزول.. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم.. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل.. وألا تستبد فتطغى.. وألا تحكم فتتحكم.. والأثرة والطماعية، والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل في فساد الزمان وهلاك الأمم».

هذا نص ما كتبه الزيات في مجلة تنطق بلسان الأزهر وتحمل عنوانه، وتتكلم باسم علماء الإسلام.. ولو قرأنا هذا في مجلة «روز اليوسف» لقلنا: «الشيء من معدنه لا يستغرب»، ولكن الذي يحز في النفس أن ينشر مثل

هذا الضلال في مجلة الأزهر، وأن يكون الكاتب والناشر مديرها ورئيس تحريرها، وأن يُستدعى الزيات من خارج الأزهر بعد أن تجاوز سن المحالين على المعاش من أبنائه ليقبض على مثل هذا المقال الهدام مائة جنيه من نفس خزانة الأزهر.. وأشد من هذا وأنكى أن يباع مثل هذا الهراء للناس على أنه دين خالص، وعلم مصفى.. رحم اللَّه الشاعر الذي يقول:

ولو كان همًّا واحداً لاحتملته ولكنه همٌّ وثانٍ وثالثُ

* **مناقشة الزيات في مقاله:**

يقول الزيات:

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت عن العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول.

ماذا يقصد الزيات بهذا؟ أيقصد أن يصرف الناس على رسالة محمد ﷺ، وأن يوجه أنظارهم إلى جهة أخرى يقيمون عليها وحدتهم، ويجدون لديها من وسائل الهناءة والسعادة ما لا يجدونه لدى رسول اللَّه ﷺ؟! وهل يؤمن معي بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

* وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

* وقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

لقد أنقذت الرسالة المحمدية العرب من الضلالة، وعلمتهم بعد جهالة، وأزالت عن قلوبهم العماية والغواية، وأبعدت عنهم خرافات الجاهلية، وأباطيل الوثنية، وحررتهم من العبودية، وألّفت بين قلوبهم كما يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

* **يا أستاذ زيات:**

إن محمدًا ﷺ أُوحي إليه، وما جاء به هو من قِبَل اللَّه.. ولقد كان يقول كما علمه المولى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩]، أفترى أن ما جاء به البشر أحكم مما جاء به رب البشر؟! صدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

* **يا أستاذ زيات:**

إن الوحدة المحمدية التي تزعم أنها قامت على أساس قد يضعف ثم ينهار هي الوحدة التي أشاد اللَّه بها، ونوه بذكرها في هذه الآية الكريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إن هذه الوحدة المحمدية قامت على أساس من تعاليم الإسلام.. والإسلام ليس عقيدة فحسب ـ كما حسبت ـ بل هو عقيدة وشريعة.. ونظام كامل.. ومنهاج واف للناس في كل نواحي الحياة.. عقيدة توثق العلاقة بين العبد والرب.. وشريعة توثق العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض.. عقيدة

تملأ القلب أمنًا وإيمانًا.. وشريعة تملأ الكون سلامًا وإسلامًا، ومحبة ووئامًا.. لقد تذوق العرب طعم الوحدة، وأحسوا بحلاوتها، وشعروا بلذتها بعد أن شايعوا النبي محمدًا ﷺ، واتبعوا النور الذي أُنزل معه فآمنوا بأن ربهم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، ودينهم واحد، وقبلتهم واحدة.. فاجتمعوا على وحدة العقيدة، ووحدة العبادة»[1].

* **ثم كتب بعد كلام طويل رائع:**

الزيات ينافق طول حياته:

«طبيعة النفاق يبدو أنها متأصلة في الأستاذ الزيات.. نما عليها وشب، وشاخ فيها.. ونضع أمام القراء عينة مما كتب وهو الأديب الذي يقول: «الأدب رسالة يوجه ولا يوجه».

في أخريات أيام فاروق وبالضبط في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ كتب الأديب الكبير في مجلة الأزهر مجلد ٢٣ جزء ٩ ص٧ ما نصه:

«باسم اللَّه جل اسمه، وعز حكمه.. منزل كتابه هدى، ومرسل رسوله رحمة، وبهدي صاحب الرسالة محمد صلوات اللَّه عليه.. لسان الوحي، ومنهاج الشرع، ومعجزة البلاغ.. وبعطف صاحب الجلالة الفاروق.. ناصر الإسلام، ومؤيد العروبة، وحامي الأزهر، أعز اللَّه نصره، وجمل بالعلوم والآداب عصره».

هذا نص ما افتتح به الأديب الزيات مجلة الأزهر قبل طرد فاروق بشهرين.. وننشر إلى جانب ذلك ما افتتح به مجلة الأزهر في يوليه سنة ١٩٦٠ مجلد ٣٢ جزء ٢:

---

(١) المرجع السابق (ص٥٧ ـ ٥٩).

«كان ملكًا على مصر قبل يوم ٢٣ يوليو، وكان آية من آيات إبليس في الجرأة على دين اللَّه، وعلى حرم الناس.. بلغ من جرأته على اللَّه أنه كان كما حدثني أحد بطانته المقربين إليه إذا اضطرته رسوم الملك أن يشهد صلاة الجمعة خرج إليها من المضجع الحرام فصلاها من غير غسل ولا وضوء، وأداها من غير فاتحة ولا تشهد، وكان يقول: إن أخوف ما أخافه أن يغلبني الضحك وأنا أتابع الإمام في هذه الحركات العجيبة.. وبلغ من جرأته على المحرمات أنه كان يغتصب الزوجة ويقتل الزوج، ويسرق الدولة ويسفه الحق، ويأخذ الرشا.. ثم أملى له الغرور فتبجح وتوقح وطغى (!!)».

هكذا تجرأ الزيات على فاروق بعد طرده.. وقد كان يدبج له المدائح في عهده.. وهكذا يكتب عنه جليس بطانته، وأنيس حاشيته.

نعم.. لقد عاش الزيات هكذا طول حياته يكتب ما يروج، وينشر ما يجلب له النعمة والعافية.. وحسبه أنه ظفر في عهد فاروق بلقب (صاحب العزة) وظفر في هذا العهد بأكرم جائزة.. وفي مجلة الأزهر لا زال (يستأثر فيستغل) فيقبض منها مائة جنيه ليخرج عدد ذي القعدة ضمن ذي الحجة، وليصدر عدد محرم في شهر صفر، وليكتب فيها كلامًا إنشائيًا يمجه كل من كان له ذوق سليم»[1].

*** رفقًا بأنفسكم وبالأمة:**

لا نخاف على رسول اللَّه ﷺ من استهانة بعض الكتاب بوحدته التي جاء بها.. ولكنا نخاف على الأمة إذا هي انحدرت إلى هذا المستوى.

لقد بلغ رسول اللَّه ﷺ مكانًا عاليًا لم يبلغه نبي.. فضلاً عن أن يناله ولي أو غير ولي.

(١) المصدر السابق (ص٧٧ ـ ٧٨).

كيف ترقى رقيك الأنبيـــاء يا سماء ما طاولتهـا ســماء
لم يســاووك في علاك وقــد حال سنا منك دونهــم وسـناء

❑ إن رسول اللَّه ﷺ في غنى عنا وعن دفاعنا جميعًا بما حباه اللَّه من مكانة عالية، ومنزلة سامية.. وإذا كُنتُ قد بادرت بالرد على الأستاذ الزيات.. فذلك لاعتقادي أني أدافع عن الأزهر ومجلته وسمعته ورسالته.. بل لاعتقادي أني أدافع عن وجودي ووجود المسلمين الذين وجدوا العزة والكرامة، والهناءة والسعادة، والقوة والغنى، والحضارة والمدنية، والمساواة والحرية، والعدالة الاجتماعية في مبادئ الوحدة المحمدية التي جاء بها سيد البشرية صلوات اللَّه وسلامه عليه.. وما ضر الرسول ﷺ أن يأتي أحد الكتاب ينتقص مما جاء به أو يستهين بمبادئه:

ما ضر شمس الضحا في الأفق طالعة ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

❑ إن محمدًا ﷺ لا يزال اسمه يدوي على المنابر والمآذن في مشارق الأرض ومغاربها، آناء الليل وأطراف النهار.. وحسبه أن اللَّه رفع ذكره، وطيب نشره، وخلد أثره، وجعل له لسان صدق في الآخرين، وفي أفواه الملايين.. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤].

*** نص العريضة التي قدمتها للدكتور محمود حب اللَّه أمين مجمع البحوث الإسلامية:**

بعد نشر مقال الزيات قدمت عريضة إلى فضيلة الدكتور «محمود حب اللَّه» أمين مجمع البحوث الإسلامية وهو المسئول الأول عن مجلة الأزهر.. وهذا نصها:

السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الدكتور محمود حب اللَّه.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.. وبعد..

فقد نشرت مجلة الأزهر في عددها الصادر في شهر المحرم سنة ١٣٨٣هـ مقالاً لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد حسن الزيات تحت عنوان: «أمة التوحيد تتوحد» وفي هذا المقال وردت العبارة التالية (ص٤ عمود ١ سطر ٧ ـ ١٨) ونصها بالحرف:

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة.. لأنها قامت على العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة.. لأنها قامت على السلطان.. والسلطان يعتريه الوهن فيزول.. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم.. وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل، وألا تستبد فتطغى، وألا تحكم فتتحكم.. والأثرة والطماعية والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل في فساد الزمان وهلاك الأمم».

□ هذا نص عبارته.. ولنا عليها مآخذ:

١ ـ أنها تدل صراحة ودون ريب على أن الأساس الذي بنى عليه الرسول ﷺ وحدة الأمة أساس ضعيف لا يضمن لها البقاء، ولا يقوى على الصمود.

٢ ـ تتضمن أن الدين الذي جاء به الرسول ﷺ قد خلا من المقومات والضمانات التي تضمن للوحدة ألا تستأثر فتستغل، وألا تستبد فتطغى، وألا تحكم فتتحكم.. وهذا دون شك بعيد عن الصواب، وكتاب اللَّه الخالد، وسنة نبيه الكريم ﷺ، وعلوم الأزهر وكتبه تشهد بأن الإسلام دين اللَّه، وشريعته صالحة لكل زمان ومكان.. ففيها كل عناصر الخير، ومقومات السعادة، وما يحتاج إليه البشر لصلاح دنياهم وأخراهم.

٣ ـ تتضمن انتقاص الرسالة، والتعاليم التي جاء بها الرسول ﷺ لكي يطهر القلوب، ويصلح النفوس، ويوثق الروابط بين اللَّه والناس، وبين الناس بعضهم مع بعض.

ومعلوم أن الرسول ﷺ مبلغ عن ربه.. فقد كان يقول كما في القرآن الكريم: ﴿إن اتبع إلا ما يوحى إلي﴾ فالانتقاص من شأن الرسالة انتقاص من شأن المرسل.. ونعوذ باللَّه من هذا.

*** يا صاحب الفضيلة:**

إن مجلة الأزهر تحمل في صدرها عنوان الأزهر وكرامته.. وهذا الذي نشره مدير المجلة ورئيس تحريرها يشين الأزهر، ويتنافى مع الأهداف النبيلة التي من أجلها أنشئت المجلة، ويسجل على الأزهريين قصورهم وتقصيرهم في خدمة الدين والدفاع عنه.

إن هذه السقطة الواضحة الفاضحة سيلتقطها المستشرقون، ورجال التبشير، وأرباب الديانات الأخرى في الداخل والخارج، لينالوا من الإسلام ويكيدوا له، وسيتلقفها خصوم الدولة ليشنعوا على علماء الأزهر، ويسيئوا إلى مكانة الجمهورية العربية في نفوس المسلمين.

*** لهذا أقترح:**

ـ التحقيق مع كاتب المقالة، واتخاذ ما يلزم لتوقي الوقوع في مثل هذا الخطأ.

ـ مصادرة الصحيفة، ونزع مقال الأستاذ الزيات.. ليكون البدء بمقال الإمام الأكبر (في مطلع العام الهجري) وهو ما كان ينبغي أن يراعى أثناء الطبع، وبعد نزع المقال لا مانع من إعادتها إلى باعة الصحف.

ـ أن يتحمل الأزهريون ما ينجم عن ذلك من خسائر مادية دون رجوع

على الخزانة.. وإني أعلن أني على أتم استعداد لدفع قسط كبير تقربًا إلى اللَّه ورسوله.

ـ معالجة الأستاذ الزيات لخطئه في العدد التالي، والإسراع بطبعه مع نشر كلمة لفضيلة الإمام الأكبر ترد إلى المسلمين ثقتهم في الأزهر، وتقوي إيمانهم بالدين.

ـ تدوين محضر رسمي تاريخي يشهد بأن الأزهر أدى رسالته وواجبه، ولم يسكت على هذه الزلة المنكرة.

❑ هذا رأيي.. وإني ليشاركني شعور الألم من هذه الزلة جميع علماء الأزهر.. بل عامة المسلمين.

وختامًا أسأل اللَّه تعالى أن يوفقكم وشيخ الأزهر ووزيره لخدمة العلم والدين.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

محمود عبدالوهاب فايد.

***

❑ وقد أرسلت برقية إلى الرئيس (جمال) ويؤسفني أن أقول: إنه لم يصنع شيئًا.. بل كان الرد إعادة مجلة «الرسالة» إلى «الزيات» ليتقاضى على إصدارها مئات الجنيهات بعد أن أغلقها تهربًا من الضرائب ـ كما قيل ـ.

نص البرقية التي أرسلها إلى رئيس الجمهورية (جمال عبدالناصر)

السيد رئيس الجمهورية.. القاهرة.

من قلب مخلص أنبهكم لخطر المقارنة بين الوحدة المحمدية والناصرية المنشورة بمجلة الأزهر عدد المحرم، راجيًا مصادرة الصحيفة، ومحاسبة الزيات

على إساءته للرسول ﷺ وللأزهر.

محمود عبدالوهاب فايد.
المدرس بمعهد القاهرة

الإثنين ٣ صفر سنة١٣٨٣هـ
الموافق ٢٤ يونية سنة ١٩٦٣م

* * *

مع الزيات.. مرة أخرى

من لم يحترم الرسول ﷺ فلا حرمة له

نشرت بمجلة الاعتصام في عدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٣هـ ـ الموافق: سبتمبر سنة ١٩٦٣م

لم يكن في نيتي أن أكتب عن الزيات بعد ما كتبته عنه في العدد السابق.. غير أن الحقائق المؤسفة التي سمعتها عنه، والهراء الذي قرأته له.. دفعني كل ذلك إلى الكتابة عنه مرة أخرى.. ردعًا له بعد أن خان البيت الذي نَمَّاه، والأزهر الذي آواه.. حضرت جزءًا من التحقيق الشفوي الذي قام به أمين مجمع البحوث الإسلامية في مقال الزيات.. فهالني أن أسمع أن مصحح المجلة نبه الزيات لخطئه وضلاله قبل طبع مقاله.. ولكنه أبى واستكبر، وعاند وأصر، وأخذته العزة بالإثم، فاستبقى هذه الفقرة الخطيرة المثيرة:

«إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة.. لأنها قامت على العقيدة.. ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول، وأن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة.. لأنها قامت على السلطان.. والسلطان يعتريه الوهن فيزول.. أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم».

أصر الزيات على نشر هذه الفقرة، وأعرض عن نصح الناصحين له، وتجاهل القيم الإسلامية، وتطاول على الحضرة النبوية، واعتدى ـ مع سبق الإصرار والترصد ـ على الأزهر ورسالته، وأساء بقصد الاستغلال إلى مجلته وكرامته. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

لقد أراد الزيات أن يحظى بالمال الوفير، والمرتب الكبير، فكتب يعلن عن نفاقه مبديًا سوأته، كاشفًا عورته.. وأقام البرهان ـ بتجاهله لنصح الناصحين ـ على أنه ليس في قلبه للَّه خشية، ولا في نفسه لرسوله هيبة، وأنه على شيخوخته لا يزال تائهًا في ضلالاته، حائرًا في ظلماته، لا يحرك قلمه إلا رنين الدينار والدرهم، ولا يغذي خياله إلا بريق المرتب والمغنم!!

نشر الزيات ثيابه القذرة على مرأى من الناس، وفوق مئذنة الأزهر، فثار الأزهريون، وهاجت الأمة، وارتفعت أصوات الشعب تطالب بتنحيته، وأصدرت جبهة العلماء بيانًا حكمت فيه بإلحاده وردَّته، وشنت المجلات الدينية الحرة ـ أمثال «الاعتصام» و«لواء الإسلام» و«العشيرة المحمدية» حملتها عليه، ووجهت سهام نقدها إليه، وخشي الزيات أن يستجيب الحكام لرغبة الأمة فحنى قامته، وطأطأ هامته، وطلع على الناس بإيضاح وبيان عسى أن تهدأ النفوس الهائجة.. ولكن البيان الذي أصدره ـ على الرغم من أنه أشير عليه بتعديله ثلاث مرات ـ كان بيانًا متهافتًا يفضح صاحبه، ويخزي كاتبه، ولننظر في بيانه، ولنقرأ مقاله من عنوانه: «وحدة.. لا وحدتان»:

❑ يا زيات.. لقد ذكرت في مقالك المسموم المشئوم ثلاث وحدات، وجعلت لكل وحدة خصائص ومميزات، وحكمت عليها بأحكام متغايرة

متباعدة.. فكيف يمكن أن تكون الثلاث أو الاثنتان واحدة.

جعلوا الثلاثة واحداً لو أنصفـــوا لم يجعلوا العدد الكثير قليـــلا

لقد قلت في مقالك: إن وحدة محمد ﷺ قامت على العقيدة.. والعقيدة قد يطرأ عليها الضعف والفناء.. أما الوحدة الناصرية فقد حكمت عليها أيها الأديب الملهم بالبقاء والنماء.. أيمكن بعد هذا أن تكون الوحدتان وحدة؟.. إن قلت: إن الوحدة الناصرية ترجع إلى وحدة النبي محمد ﷺ.. فالوحدة الناصرية إذن بحكم منطقك مهما تدم قد تضعف أو تحول.. وإن قلت: إن وحدة النبي محمد ﷺ ترجع إلى الوحدة الناصرية فقد جعلت التابع متبوعًا، والمتبوع تابعًا، وذلك ـ لعمر الحق ـ غاية الضلال.. بل غاية الخبال.

لقد كان مقالك شؤمًا على الوحدة.. فلم تكد تفرغ من كتابته حتى تعثرت وتعسرت، ووجدت نفسك في حرج وأنت تعالج خطأك فقلت لتستر موقفك: «الوحدة الناصرية المقترحة» خشية أن يبدو تهافتك في دعوى بقائها ونمائها أن الوحدة وهي مطمع الأنظار، وملتقى الأفكار، وهدف كل مسلم غيور، وغاية كل عربي مخلص لا تقوم بملق المتملقين ونفاق المنافقين.. ولكنها ستقوم وتدوم، وتتحقق وتتوثق بجهود المؤمنين، وجهاد المخلصين، وكسح المضللين.. لقد كتب الزيات ما كتب طمعًا في الربح الحرام، وغاب عنه وهو الأديب الكبير ما ورد في الأمثال «تجوع الحرة ولا تأكل بثديها»، وعاد بعد أن تعالت أصوات الأمة بالاستنكار يخاتل ويخادع، ويلتوى هذا الالتواء الذي ضحكت منه العامة، وسخرت منه الخاصة، راح يلقي التهمة على الإيجاز الذي أدى إلى هذه الجملة، وقد كانت أمامه فرصة ليطنب ويوضح فكرته يوم نُبِّه إلى ذلك قبل الطبع.. فلو كان في قلبه لرسول اللَّه ﷺ مهابة لرجع عن ضلاله، وأصلح من مقاله.. ولكنه بدافع

النفاق أبى وأصر، وآذى رسول الله ﷺ من فوق منارة الأزهر.. فليسمع قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦١-٦٣].

* وليسمع قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٨-١٢].

❑ يا زيات.. لقد حكم الله على أمثالك بالخزي العظيم، والعذاب الأليم.. فلتهنأ إلى حين في مجلة الأزهر بمائة جنيه تقبضها من خزانته على الرغم من أنوف الأزهريين.. ولتهنأ إلى حين في مجلة الرسالة بمئات الجنيهات تقبضها من خزانة الدولة على الرغم من أنوف أبناء الدولة المؤمنين.. ولتهنأ إلى حين بحرية الرأي قَدْحًا في وحدة خير الأنام.. على الرغم من أن دين الدولة هو الإسلام.. ولتهنأ إلى حين بالاشتراكية في الرزق تسوق إليك من عملك الجديد مئات الجنيهات بعد مقالك المشئوم بأسبوعين على الرغم من أنوف العاملين المخلصين الذين يظفرون بجنيهين علاوة كل سنتين.

ليسمح لي الزيات أن أستعير منه وإليه.. فأقول: «إنه اندس - في مجلة الأزهر - اندساس الإثم في الضمير، والداء في البدن.. فكان في الوحدة مظهر تفريق، وفي النهضة مصدر تعويق، وفي العقيدة مثار شبهة..

وحسبه أن مجلة الأزهر صارت في عهده (مذلة) بعد أن كانت (مجلة)»[1].

❑ ثم ختم مقاله بالرد على ما قاله الزيات من إطراء العهد الناصري فقال:

لقد غالى في إطراء هذا العهد حتى انتقص الوحدة المحمدية، وأقحم الرسول ﷺ في المقارنة دون أدب ولا روية.. وما فعل ذلك عن إخلاص وإيمان.. بل جريًا وراء الذهب الرنان.. تمامًا كما صنع أيام فاروق قبل طرده.. وإلى أواخر عهده.. وهكذا الزيات طول حياته ينافق بغية القوت، ويكتب بقلم نقش عليه هذا المثل «طالب القوت ما تعدى».

يا زيات.. إن الرئيس عبدالناصر لو أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ ـ بنص الحديث ـ مُدَّ أحَدٍ من أصحاب النبي ﷺ ولا نصيفه، فكيف له يا جهول أن يبلغ مبلغ الرسول؟!.

ألا فلتسمح لي أيها الزيات وقد استضفتك اليوم على مائدة الاعتصام أن أقدم لك فاكهتك، وأسوق إليك هديتك: ««إن الكفر خير من النفاق.. وإن العداوة أفضل من الخديعة.. وإن الصراحة على كل حال عظمة، وإن المراءاة على أي وجه حقارة».

* وخير ما نختم به هذه الكلمة قول اللَّه تعالى: ﴿إِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

* وقوله سبحانه: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

* وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ

(١) المصدر السابق (ص ٨٠ ـ ٨٨).

إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨ ـ ٨٩]»[1] ا.هـ.

* **عبدالناصر يسخر من علماء الأزهر فيردّ عليه الشيخ محمود فايد:**

في خطاب عبدالناصر الذي ألقاه في الذكرى التاسعة لثورة ٢٣ يوليو قال عبدالناصر:

«طبعًا بعده كده يمكن بعض المشايخ بقى يروحوا طبعًا كل واحد يخبط ديك رومي أو خروف عند الإقطاعيين ويطلع يدي فتوى أن الملكية لا يمكن لأحد أن يقرب لها.. طبعًا هو ما بيفكرش إلا في جوز الفراخ اللي بيروح يخطبه في العشوة، أو في الديك الرومي.. يعني اللي قال هذا الكلام كان أجير للرجعية، للإقطاع وللرأسمالية والعِمَّة كانوا بيحاولوا في هذا الوقت أن يضحكوا علينا بها».

فرد عليه الشيخ محمود فايد في مقال بعنوان: «فقرات تسترعي النظر وتثير الانتباه في خطاب الرئيس عبدالناصر الذي ألقاه في الذكرى التاسعة لثورة يوليو «نشر في مجلة الاعتصام بعددها الصادر في شهر ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ ـ الموافق شهر أغسطس سنة ١٩٦١م، قال الشيخ فايد:

«هنا أحب أن أقف مع الرئيس وقفة قصيرة.. ومن حقي أن أقف معه.. فقد حدثنا سيادته عن عمر بن الخطاب.. وقد حفظنا من تاريخ عمر أن امرأة استوقفته فوقف وأطالت معه الحديث، وكان مما قالت: «لقد كنتَ من قبل عُمَيْرًا ثم صرت عمر، ثم أصبحت أمير المؤمنين، فاتق اللَّه وانهج سبيل الحق» فبكى عمر حتى اخْضَلَّت لحيته فقال رفيقه: كفى يا أمةَ اللَّه فقد أبكيت أمير المؤمنين.. فنهره عمر وقال: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا

(١) المصدر السابق (ص٨٩ ـ ٩٠).

خير فينا إذا لم نتقبلها».

❑ ليسمح لي سيادة الرئيس أن أناقشه.. وأرجو ألا أُتهم بأني أجير للرجعية.. فقد كنت من أرباب الأقلام المتواضعة التي حاربت الفساد، وقبل أن يخرج فاروق، وفي شهر أبريل بالضبط كتبت ولا أملك من السلاح سوى إيماني وقلمي.. كتبت في هذه المجلة المتواضعة «الاعتصام» تحت عنوان: «ضعف المسلمين اليوم» مقالة جاء فيها:

«ملوكهم وحكامهم معنيون بمناصبهم.. همهم أن تسلم لهم ولو على أيدي الغاصبين.. يسالمون عِداهم، ويذلون رعاياهم، يجمعون المال من دم الفلاحين، وعرق الكادحين لينفقوه على ملذاتهم، ويبعثروه على شهواتهم.. طوراً ينثرونه على موائد القمار، ودور اللهو، وكئوس الشراب.. وحيناً يبذلونه في مخاصرة النساء، وسماع الغناء، وما تتطلبه الليالي الحمراء.. والويل شر الويل لمن تسول له نفسه أن ينكر عليهم، أو يزجي النصح إليهم فجزاؤه السجن.. وإن شئت فقل: الإعدام. وحسبنا اللّه ونعم الوكيل».

هذا ما قلته [وأنا من ذوي العمائم] في وقت اشتد فيه الضغط، وكثر فيه الفساد والاستبداد والإرهاب[1]. فهل يجوز يا سيادة الرئيس أن يذاع على العالم وبجميع اللغات ـ ومن رئيس الجمهورية العربية ـ مثل هذا الكلام الذي تناثر رذاذه فصرنا نخشى منه على عمائمنا؟!! لقد فاتك أن تعقب بأن كثيراً من ذوي العمائم كان لهم مواقف كريمة، وغيرة مشكورة، وإحساس مرهف، وإنك لتعرف بعضهم، ولبعضهم عليك فضل.

وإذا قلنا: إن بعض الذين تحدثوا عن احترام الإسلام للملكية الفردية قد

(١) في الأصل «وكان رجال من الجيش ومن الجيش وحده هم الذين يحمون حمى الفاروق، وكان رجال من الجيش ومن الجيش وحده هم الذين يأكلون على مائدة ولي العهد الطفل والقاهرة تحترق».

أخطأوا في التطبيق، فقد كان من الممكن أن تكتفي بردهم إلى الصواب بالحجة، ومجادلتهم بالحكمة، ومناقشتهم بالتي هي أحسن حتى لا يضعف صوت العلماء عندما يفرض عليهم الدين أن يعلنوا كلمة اللَّه ضد الشيوعيين، والمستعمرين، والمفسدين.. إذ يكون في مقدور هؤلاء آنئذ أن يتهموهم بأنهم أكلة الفراخ، وأكلة الرومي.

لقد دعوتنا يا سيادة الرئيس إلى التسامح، وتناسي الماضي، منعًا لإثارة النفوس.. وقد خشيت وأنا أسمع هذا الكلام على نفسي، ووضعت مرارًا يدي أتحسس هذه العمامة، وأتعرف أين موقعها على رأسي؟!.

ومن فضل اللَّه أن شعبنا شعب فاضل واع، متدين ذكي أريب، يعرف مقاييس الرجال، ويميز الخبيث من الطيب.. يا سيادة الرئيس.. هذه كلمة عتب وقديمًا قال الشاعر:

إذا ذهب العتاب فليس ود ... ويبقى الود ما بقى العتاب

❑ وختامًا.. يكفي العلماء العاملين شرفًا وفخرًا أن أحكم الحاكمين زكاهم، ورفع قدرهم، وخلد ذكرهم.. فقال سبحانه: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

● يكفيهم في المدح والثناء قول أفضل البشر ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**» أخرجه أبو داود»ا.هـ.

عيد.. بأية حال عدت يا عيد

«نشر هذا المقال في عدد الاعتصام الصادر في ذي الحجة عام ١٣٨٨ الموافق مارس عام ١٩٦٩»

❑ ويأتي العيد الأكبر فيذكرنا بقول المتنبي:

عيد بأيه حال عدت يا عيد بما ... مضى أم بأمر فيك تجديد

أما الأحبة فالبيداء دونهم ... فليت دونك بيداً دونها بيد

يجيء العيد وبيننا وبين أهلنا في العريش.. وسيناء.. وفي الضفة الغربية.. وفي مرتفعات الجولان.. وفي الأراضي التي احتلتها اليهود.. بيننا وبين هؤلاء عدو خبيث.. دنيء خسيس.. فرق الأهل، ومزق الشمل، وأراق الدماء، ونكل بالأبرياء، واعتدى على الأطفال والكهول والنساء، واستباح الحرمات، وانتهك المقدسات.. ولا يزال يرغي ويزبد، وينذر ويهدد، ولا زلنا نسمع أنات أهلينا المستضعفين، وصرخات إخواننا المنكوبين، وننظر حولنا فلا نجد إلا ما يقض المضجع، ويضرم الفؤاد، ويُطَيِّر عن العين الرقاد.

ومع هذا فكل من هنا مشغول.. مشغول بأمره عن أمر غيره، لا يفكر إلا في نفسه، ولا يهتم إلا بشخصه.. كل من هنا يلقى المسئولية كلها، ويلقي العبء كله على الجيش وعلى الحكومة.. كأنه لا مسئولية على طوائف الشعب وأفراد الأمة.. هكذا يشعرون.. أو هكذا يتعلمون.

كل من تلقاه يبدو على وجهه سمات الحيرة، وتطالع في جبينه أمارات القلق.

كل من في هذا الوطن الذي جار عليه اليهود يعيش قلقًا مضطربًا، لا يطمئن على نفس، ولا على أهل، ولا على مال.. فالخطر ماثل أمام أعينهم، يحيط بهم من كل جانب، ويحدق بهم من كل ناحية، ويهددهم في كل لحظة.

ومع أننا نشعر جميعًا بالخطر، وندرك سر البلاء، ومصدر الشقاء، يحلو لكثير منا أن ينام، ويلذ له أن يلهو، ويبحث عن وسائل السمر، وفرق الرقص.. إمعانًا في الاستهتار، وعدم المبالاة.. هل تبلدت أحاسيسنا؟! هل تحجرت مشاعرنا؟! هل عقمت أفكارنا؟! هل نحن في حاجة إلى ملاه تخدرنا، ومراقص تلهينا؟! أو في حاجة إلى وعي يبصرنا وسلاح يحمينا؟!

إن من أوجب الواجبات علينا ـ خصوصًا في أيامنا الحالكة ـ أن نستيقظ فلا ننام، ونَجِدَّ فلا نلهو، ونتسلح بالدين وبالوعي وبكل أنواع الأسلحة الحديثة.. إن من أوجب الواجبات على علماء الدين، وأرباب الفكر، وحملة الأقلام والقائمين على أجهزة الإعلام أن يبصروا الأمة بالخطر، ويبعثوا فيها روح القتال والاستبسال، ويحاربوا بالقول وبالفعل كل ما يثير الفتنة، ويقتل النخوة، ويثبط العزيمة، ويضعف الهمة، وينيم الأمة.

ما هذه الصور الخليعة التي تنشر؟! ما هذه الأغاني البذيئة التي تسمع؟! ما هذه السموم التي تعلن عنها الصحف وأجهزة الإعلام؟! ما هذه الرذائل؟! ما هذه المنكرات؟! أما آن لنا أن نفيق من سكرتنا، ونتسيقظ من نومتنا؟! أما آن لنا أن ندرك سر نكبتنا؟! أما آن لنا أن نسأل لنفهم: «لماذا لم يستطع جيشنا بأسلحته الوفيرة أن يبقى في سيناء ـ وهي أرضنا ـ عشرين يومًا؟ واستطاع العدو أن يبقى فيها على الرغم منا عشرين شهرًا قابلة للمزيد[1] ؟!.

□ سؤال يجب أن يسأله كل منا لنفسه، وأن يوجهه لغيره.. سؤال يجب أن نعرف جوابه الصريح الصحيح.. فإذا عرفنا الجواب، أدركنا الأسباب، وفهمنا أسرار ضعفنا وجب علينا أن نسارع إلى تفاديها، ونبادر بتلافيها.

في عام ١٩٤٨ ضاعت قطعة من فلسطين بسبب الأسلحة الفاسدة، وخَوَر نفر من الحكام.. ومن أجل هذا قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م.

في عام ١٩٦٧ ضاعت فلسطين كلها.. وضاع معها جزء من مصر..

---

(١) كان هذا يوم كتابة هذا المقال. وقد مضى إلى اليوم تسع سنوات، ونحمد الله على هذا النصر الجزئي الذي حققناه في رمضان سنة ١٩٧٣ بعد أن عدنا إلى الدين، وبعد أن طردنا خبراء الروس، وتوكلنا على الله معتمدين على أنفسنا، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لاسترجاع كل أرض العروبة وأرض الإسلام.. آمين.

والأردن.. وسوريا والأسلحة جيدة متوافرة.

في عام ١٩٤٨ استطعنا بأسلحتنا الفاسدة أن ندق أبواب تل أبيب لأن القلوب كانت صالحة.

في عام ١٩٦٧ استطاع العدو أن يصل إلى القناة، ويحرز أعظم كسب في أقصر وقت وبأقل ثمن، ويغنم أسلحتنا الصالحة لأن القلوب كانت فاسدة.

إننا في هذه الأيام أحوج ما نكون إلى إصلاح شامل يرتكز إلى عقيدة دينية، ونأخذ من اليهود عبرة.. فقد استطاعوا تحت لواء الدين أن يتكتلوا، ويظفروا، ويجذبوا العالم إليهم.. على الرغم من أن تعدادهم في إسرائيل مليونان.. أي نصف تعداد القاهرة.. وتعدادهم في دول العالم ستة عشر مليونًا.. أي نصف تعداد الجمهورية العربية وحدها.

لقد أشاعوا في العالم بدعة الفصل بين الدين والدولة.. لكنهم أعلنوا ولا يزالون يعلنون في كل مناسبة أن دولتهم قائمة على التوراة.. التوراة التي بين أيديهم ويؤمنون بها.. اختاروا لدولتهم اسم «إسرائيل» وهو اسم نبي من أنبياء اللَّه.. به يتعلقون.. اختاروا لدولتهم لافتة دينية تستميل القلوب، وتجذب المال والرجال.

ولا تمر فترة حتى يصرح الصهيونيون بأسانيدهم الدينية في احتلال الأراضي التي وقعت في أيديهم.. لقد أعلنوا للعالم أن إسرائيل لها مطالب إقليمية دينية في أجزاء من الأراضي التي احتلتها.. لأن دولتهم تقوم على ثلاث مقومات: ١ ـ التوراة. ٢ ـ الشعب اليهودي. ٣ ـ أرض الميعاد.

وقالوا: إن الدين الذي أبقى على الآباء والأجداد هو الذي يُبْقي على الأبناء والأحفاد.. وتمشيًا مع هذا المبدأ وضعوا خطة لتربية أبنائهم تقوم على إلزام الطفل بتعلم العبرية في سن الثامنة، وقراءة التوراة بها في سن الثانية

عشرة، ودراسة التلمود وحفظ حكمه في سن الرابعة عشرة.. على هذا أقاموا دولتهم، وربوا ناشئتهم، يقول «هيرمان ووك» في كتابه «هذا ربي».

سألني ابن جوريون: كيف يمكن لليهود أن يقاوموا العناء في العالم كله؟ فأجبت عن طريق الدين.. فقال ابن جوريون: أجل هذا هو الطريق الوحيد.

إن اليهود لا ينسون أن يرفعوا شعار الدين في كل مناسبة.. ولما دخلوا بيت المقدس قالوا: الآن ثأرنا لأجدادنا في خيبر.. وزحفوا نحو حائط المبكى على بطونهم يبكون، وأسرع قائدهم (ديان) يقبله ويبلله بدمع عينه [الواحدة] بعد ساعات من استيلائه عليه، وكان على رأسهم جميعًا حاخامهم الأكبر يرفع التوراة بين يديه.

إن الحاخام هنالك هو الذي يوجه السياسة بلسانه ويده، بقلمه وخطبه.. وهو في إسرائيل له مكانة مرموقة.. فإذا ما سار على قدميه في أي شارع من شوارع إسرائيل يتوقف المرور فيه.. فلا يمكن لسيارة أن تمر أمامه.. وليس هذا التقدير للحاخام الأكبر وحده.. بل لكل حاخام يعيش في إسرائيل.. كما نشرت ذلك الأهرام في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ص١ع٥.

إن التوراة تؤدي دورًا كبيرًا في صراع اليهود معنا.. في كتاب «المعتدون اليهود» (ص٥):

«لقد وجدنا اليهود الذين وقعوا في الأسر ومع كل منهم نسخة من هذه التوراة.. وكأنها سلاح من أسلحتهم في المعركة.. ومن الخطأ الفادح أن نعتبرها مجرد كتاب للبركة، أو نظام للعبادة.. ولكنها منهاج عمل بالنسبة لهم».

لقد وقف الإسرائيلي في المعركة ومعه سلاحان.. سلاح التوراة..

وسلاح المدفع.

ووقف العربي في المعركة.. فماذا كان معه؟ أكتفي بنقل هذا الخبر.. وقد نشر في العامود الثالث من الصفحة الأخيرة بجريدة الأهرام أول يونيه ١٩٦٧ أي قبل الحرب بأربعة أيام ونصه:

«وضع مجدي العمروسي مدير صوت الفن جميع الإمكانيات تحت تصرف إدارة التوجيه المعنوي في القوات المسلحة، كما بدأ في طبع ٤٠ ألف صورة كارت بوستال عليها صورة عبدالوهاب و٤٠ ألفًا عليها صورة عبدالحليم حافظ، و٤٠ ألفًا عليها صورة نجاة الصغيرة، و٤٠ ألفًا عليها صورة شادية.. على كل منها إهداء من صاحبتها.. سترسل من الغد إلى جنودنا الرابضين في الجبهة».

وفوق هذا الخبر أغنية لأم كلثوم وصور مختلفة لها في استديو ٣٥.

هذا ما نشر.. لقد اعتمدنا على الفن كل الاعتماد.. وفي يوم المعركة اختفى صوت الدين بين جلبة المغنيات والمغنين.

إن لدينا أجهزة دينية كان من الممكن أن تخدم الدولة والأمة، وتؤدي دورًا كبيرًا قبل المعركة وأثناءها وبعدها.. لكنا مع الأسف أهملناها.. فلم تقم بجهد يقنع الأمة، ويروي ظمأها، ويقوي أبناءها، ويرهب أعداءها.. لدينا الأزهر، والمعاهد، والكليات الأزهرية، ولدينا المساجد الدينية.. لكن دورها في الصراع الأخير مع العدو كان خافتًا باهتًا لا يتناسب مع مكانتها، ولا مع خطر المعارك التي كتب على الأمة أن تخوضها».

*** عبدالناصر والشيخ عاشور والشيخ محمود فايد:**

عندما نصح الشيخ عاشور عضو مجلس الشعب السابق في عهد عبدالناصر.. عندما نصح الأمة وحمّل الحكام مسئولية الاستخفاف بالدين، وقال عبدالرحمن النجار في بيانه: «إن عاشور لا يحمل شهادة» بإيعاز من

عبدالعزيز كامل نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف، كتب الشيخ محمود فايد مقالاً في مجلة الاعتصام عدد شوال سنة ١٣٨٨ الموافق يناير ١٩٦٩ تحت عنوان «مسئولية العلماء والأمراء» قال فيه:

«وإذا انحرف الأمراء، وظلموا العباد، ونشروا الفساد وجب على العلماء أن ينصحوا لله ورسوله، ويتخذوا كل وسيلة لإنقاذ السفينة.. فإن آثروا دنياهم، واشتغلوا بها عن أخراهم، ولم يرقبوا مولاهم ـ حرمهم الله لذة الدنيا، ومنعهم نعيم الآخرة، وغضب على الأمة بأجمعها، وأنزل بها عذابه، وأذاقها عقابه، وسلط عليها من يذلها ولا يرحمها.. قال ﷺ: **«لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليسلِّطَنَّ الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم»** أخرجه البزار والطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة.

إن من اللازم على العلماء أن يبلغوا أحكام الله ولا يكتموها، وينشروا تعاليم الله ولا يخفوها.. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٩].. عليهم أن يبذلوا جهدهم في النصح، ويقوموا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحتملوا الشدائد التي يلاقونها.. فمن قبل أوذي خير عباد الله.. وهو رسول الله ﷺ، وسخر منه المجرمون.. فلم يضعف، ولم يتراجع.. بل ازداد صلابة في الحق، وثباتًا على المبدأ، واستمر في طريقه حتى كتب الله له النصر، ومكن له من خصومه، وأصبح اسمه مقرونًا بالتمجيد، وظل حتى عصرنا هذا يدوي على المنابر والمآذن في كل دول العالم شرقًا وغربًا، جنوبًا وشمالاً.. فما من دولة إلا وفيها مسلمون يعتنقون دينه، ويمجدون تعاليمه.. لقد ظلت ذكرى رسول الله ﷺ بعد مماته باقية، وآثاره خالدة، وتعاليمه حية تعلن عن قوتها وصلاحيتها لكل

زمان ومكان».

■ من كلام الشيخ محمود فايد الذي ارتجله أمام مجلس الشعب في يوم الخميس الموافق ١٦ أغسطس عام ١٩٧٣م:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

السيد/ رئيس اللجنة، الإخوة المشتركون معنا في لجنة الاستماع.. إليكم أوجه أبلغ التحية.

من أخيكم محمود عبدالوهاب فايد من رجال الأزهر الشريف والمعار للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

*** أيها الإخوة:**

لقد حضرت اليوم وأنا أعلم أن الكلمة الحرة الصريحة لبنة في بناء الوطن.. وأنا أعلم أيضًا أننا أحوج ما نكون إلى مراجعة شاملة في جميع شئوننا الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والعسكرية، والإعلامية.. ذلك لأن الظروف التي نعيشها ظروف عصيبة والمرحلة التي نجتازها مرحلة رهيبة.. لقد قامت ثورة ٢٣ يولية من أبناء الشعب الذين عاشوا آلامه وآماله، ورحب الشعب بهم لأنهم من صميم القاعدة الشعبية.. فآمل أن يعالجوا آلامه، وأن يحققوا آماله.. ولكن ماذا جرى؟.

*** لا بد أن نأخذ العبرة، ونقتبس العظة:**

لقد كانت بيدنا ـ يوم تسلمت الثورة الحكم ـ غزة وسيناء والعريش كانت بيدنا سنة ١٩٥٢م.. وفي عام ١٩٦٧ م خرجت من يدنا غزة وسيناء والعريش واحتلتها إسرائيل.. كنا ـ كما قال الأخ القيسوني ـ دائنين بالأرصدة الإسترلينية بمبلغ (٣٥٠) مليون جنيه باعتراف انجلترا.. أو ٥٠٠ خمسمائة

مليون جنيه كما كنا نقول.. والآن أصبحنا مدينين بـ .... انقلبنا من دائنين إلى مدينين.. كنا نطالب بجلاء القوات الإنجليزية.. فأصبحنا الآن نطالب بجلاء القوات الإسرائيلية.. كانت مصانعنا في سيناء تحت إدارتنا، ولحسابنا.. فأصبحت تعمل تحت إدارة إسرائيل ولحسابها.. نعم لقد حرمنا من أرض سيناء ودخلها وثرواتها بعد أن كانت في حوزتنا، وأصبحت الآن وأصبح دخلها يشارك في بناء قوة إسرائيل، واقتصادها، والدفاع عنها، والتوسعة عليها.. هذه حالة مزعجة[1] تحتاج إلى أن نفكر.. ما الذي جرى وحدث؟!!!.

▣ وأقول بصراحة: إننا استبعدنا الدين في هذه المرحلة كلها.. فترة قصيرة نعمنا فيها بروح دينية، ثم بعد ذلك قفزت مراكز القوة إلى السلطة، وتحكمت فينا، وملأت البلاد إرهابًا وفسادًا واستبدادًا.

فإذا بنا نرى الحالة كما نرى.

رأينا أوضاعنا قد انقلبت.. فبعد أن كنا نأمل الخير أصبحنا نخشى

---

(١) صرح بهذا أخيرًا الرئيس أنور السادات في مجلس الشعب يوم الأحد ١٤ مارس ١٩٧٦ نشرت الأخبار يوم الإثنين ١٥ مارس (ص٩) ما نصه:

«ترك لي عبدالناصر وهو كما تعلمون أخي وصديقي.. ترك لي تركة كلكم تعلمون ما هي هذه التركة.. موقف خارجي ممزق مع جميع العالم، ممزق مع الأمة العربية، ممزق مع أمريكا، ممزق مع غرب أوربا، ممزق مع دول كثيرة جدًا في هذا العالم.. ويكفي أمتنا العربية اللي هي عيلتنا تمزقًا آدي الموقف السياسي.. ترك موقف عسكري.. إسرائيل على ضفة القناة، والروس جاي كلامي عنهم وروه الويل.. حقيقي لم يكن له غير الروس.. لأنه بعد ما انقطعت خيوطه مع كل هذا العالم ما كانش باقي غير الروس.. الموقف العسكري هزيمة.. مرارة.. ألم.. الموقف الاقتصادي احنا في موقف اقتصادي لا نحسد عليه.. موقف صعب جدًا.. بذكر المجتمعون هنا أنني قلت لهم أنا عايز أقول لكم حقيقة هي أن الاقتصاد المصري تحت الصفر في أكتوبر ١٩٧٣ وأنا أشبهه برجل كامل.. ولكن كل دمه نزف من شرايينه».

الشر، ونتوجس خيفة مما يراد بنا.. هذا يتطلب منا أن نفكر كثيرًا لنسترد أرضنا، ونتوقى الأخطار والأشرار.. ما العلاج؟ وماذا يجب علينا في هذه الظروف؟.

❑ وأقول لكم بكل صراحة: إنه يجب أن نعيد للدين كرامته، وسلطته.

إنه لا يجوز بأي حالة من الأحوال أن نستبعد الدين خوفًا من هؤلاء القائلين: إن الدولة يجب أن تكون علمانية.. ولا يصح أبدًا أن تكون دولة دينية.. هؤلاء لا يجوز أن نستمع لقولهم.

تصفيق..

إنني أقول لكم بصراحة: إن ما حدث سنة ٦٧م ليس نكسة.. ولا هزيمة.. بل خيانة للدولة وإنه ليعجبني من السيد نائب الرئيس حسين الشافعي أن صرح بهذا..

وكان يعجبني أكثر لو أن صحح هذا يوم كان الرئيس الراحل موجودًا، وأن يقول له: لا.. إنها ليست نكسة ولا هزيمة.. وإنما هي خيانة.. لقد قالها اليوم، وكان بودي أن يقولها بالأمس.. لقد كان شعبنا يقال له: إنها نكسة فيردد الجميع بعد ذلك.. نكسة.. نكسة.. أذكر أنني يوم قيلت هذه الكلمة كتبت وقلت:

«لقد هزم الحكام.. ولم يهزم الشعب.. سلمت الأرض والجيش والسلاح لأعدائنا».

تصفيق..

نعم.. قلت هذا وكتبته.. وإذا بي أرى الرقيب يشطبها، وأخذت وقتًا طويلاً معه وهو يقول لي: إني أشطبها حرصًا على حياتك أنت!!.

قلت له: أي حياة بقيت؟ إنها حياة ذليلة مهينة.. لقد ضاع أكثر من (١٨) ألف جندي فلم لا يزيدون أيضًا جنديًا واحدًا وهو «محمود فايد»

ويقتل كما قتل هؤلاء؟. فليمت، وليغدر به كما غدر بهم.

قلت: له هذا.. ولكنه أبى ورفض، وقال: إن كنت مستعدًا لتضحي بحياتك فلست مستعدًا أنا لأضحي بحياتي.

نعم، قال المسئولون في مصر أولاً: إنها نكسة.. ثم قالوا: قد هزمنا في معركة.. وأخيرًا قال نائب الرئيس: إنها خيانة.. وأنا أقول: حقيقة إنها خيانة.

استبعدنا الدين لماذا؟ إن إسرائيل أيها الإخوة قامت على أساس ديني.. إن اسمها نفسه اسم ديني: {إسرائيل} اسم لسيدنا يعقوب.. كذلك عَلَمُها عليه نجمة تسمى {نجمة داود}!!.

قامت إسرائيل فجعلت عنوانها عنوانًا دينيًا لأنها تريد أن تستغل الدين، وتستغل اسم (يعقوب) نبي اللَّه الذي يشترك في احترامه وتعظيمه المسلمون واليهود والنصارى.. أرادت بهذا الاسم أن تستدر عطف الناس جميعًا، وألا يَلْعَن اسمها أحد.. أنا شخصيًا لا أستطيع أن ألعن (إسرائيل) إلا إذا قلت أو قصدت (إسرائيل) الدولة.

إسرائيل قامت على أساس ديني، ونظرية دينية، ولا تزال تدعو وتستخدم الدين في جميع معاركها حينما دخلت في سيناء.. هل تعرفون ماذا جرى أيها الإخوة؟!.

جرى أن هؤلاء الجنود اليهود كانوا مرهقين غاية الإرهاق.. ولو أن أي قوة عسكرية قامت عليهم، ودخلت عليهم واللَّه لما استطاعوا أن يقاوموها طويلاً، ولفروا أمامها.. ولقد حدثني رجل أثق به بأنه طلب أن يكلف الجيش أو فرقة منه بمحاربة اليهود في سيناء.. وقد كانت هناك بعض الفرص لاحتمال النصر، وعودة الأرض، فقال المسئولون: لا.. إننا أعطينا كلمة لمجلس الأمن فلا نتراجع!! تراجعوا على أرضنا.. ولم يتراجعوا في كلمتهم

التي قالوها في مجلس الأمن.. لم يتهيبوا الأمة، وسلموا أرضنا، وتهيبوا مجلس الأمن مع إسرائيل التي تتحدى علنًا كل قراراته، وتعلن أنها لا تلتزم إلا بما فيه مصلحتها.. إن هذه معارك حربية والحرب خدعة.. إننا أمام مستقبل أمة.. فكان يجب أن نحافظ عليه، ونرعاه ونهتم به، لقد كان الجيش اليهودي في غاية الإرهاق، وكان لا يستطيع أن يقعد في رمال سيناء حيث لا استعدادات ولا مظلات ولا مخابئ.. فالجيش اليهودي مضطرب.. مرتبك.. يتململ من شدة الحرارة ومن سوء الطقس، هل تعرفون ماذا جرى؟

ذهب موشى ديان إلى الحاخام، وقال له: الجيش مضطرب في سيناء بسبب سوء الأحوال الجوية.. فقال له الحاخام: سأذهب بنفسي.. وذهب الحاخام إلى الجنود وقال: هنا الجنة.. من يمت هنا دخل الجنة.. عندئذ تحمس الجنود للبقاء، وتسمرت أقدامهم في سيناء.. نعم لقد استعملوا الدين.. استخدموه ولم يهملوه في المعركة.. إذن يجب علينا أن نستعمل سلاح الدين.. فالدين لا يجوز أن نهمله.. فديننا أيها الإخوة ما هو؟ هل هو دين نتعير من أن ننطق به؟ ونأتي به على ألسنتنا؟ ونسير على نهجه في حياتنا؟ لا.. إن ديننا أيها الإخوة دين قويم يعمل للدنيا والآخرة.. وإذا أردنا العلم فهو يدعونا إلى العلم، وبأوسع ما تتحمله هذه الكلمة من معنى.. فلا مبرر لما يطالب به العلمانيون.. لماذا؟»[1].

*** العلماء الرجال:**

بقلم الأستاذ محمد عبدالله السمان

❑ ما أكثر العلماء.. علماء الدين.. ولكن ما أقل العلماء الرجال..

(١) «عالم أزهري حر» (ص: ٢ ـ ٢٤).

ويبدو أن العلماء الرجال أصبحوا اليوم كالحقيقة حين كان يبحث عنها أحد الفلاسفة في وضح النهار وبيده مصباح مضيء.. والعلماء.. علماء الدين.. الذين بلغوا من الكثرة بمكان هم فقط حملة مؤهلات لا أكثر ولا أقل.. أما العلماء الذين بلغوا من الندرة بمكان أيضًا هم العلماء الرجال ذوو العقائد والمبادئ والضمائر.. وذوو النفوس العالية العفَّة الذين يتمثل فيهم قول البارودي ـ رحمه اللَّه ـ:

خُلِقْتُ عيوفًا لا أرى لابن حرة عليَّ يدًا أغضي له حين يغضب

❑ والعالم الجليل أخي فضيلة الشيخ محمود عبدالوهاب فايد ـ بلا أدنى مجاملة هو في غنى عنها ـ من هؤلاء العلماء القلائل الذين يبحث عنهم الإسلام المغلوب على أمره وسط التحديات التي تحيط به من كل جانب، وتهب عليه من الشرق المادي الملحد، والغرب الصليبي المتعصب على السواء.. وتبحث عنهم قضايا الإسلام، وقضايا المسلمين التي قل أن تجد اليوم من يأخذ بيدها!!.

❑ لقد عرفت أخي الشيخ «فايد» بقلبي قبل أن أعرفه بعقلي.. عرفته بقلبي مؤمنًا عميق الإيمان.. إنسانًا بكل ما تحمل كلمة الإنسانية من معنى.. فأحببته.. وعرفته شجاعًا تنبع شجاعته من إيمانه.. قويًا يستمد قوته من عقيدته.. فازددت حبًا له!!.

❑ عرَف «الشيخ فايد» طريقه إلى «مجلة الاعتصام».. فعرف مكانه الصحيح اللائق به، وسعد بالاعتصام وسعدت به، وكان لمقالاته الجريئة القوية أثرها الطيب في نفوس القراء، وتأثيرها العنيف على أعناق الطواغيت التي نكبت مصر بها، وأقضت مضاجع الشراذم المتآمرة على الإسلام التي تسللت إلى مصر بأفكارها وسمومها في غيبة «الدعوة الإسلامية» الممتحنة..

❑ وواجه الشيخ فايد الطواغيت وهي في فورة طغيانها، فلم يَحْنِ لها رأسه.. وأحنى غيره من العلماء رءوسهم دون أن يواجهوا الطواغيت لكيلا

تواجههم الطواغيت.. والذين تزلفوا إلى الطواغيت من العلماء ـ حتى في وهنها وهزيمتها ـ كنا نسقطهم من الحساب.. والذين تزلفوا إلى الطواغيت بعد أن هلكت.. بل يوم أن هلكت.. لم نسقطهم من الحساب لأنهم كانوا في نظرنا بلا اعتبار حتى يحاسبوا!!.

❑ والعجيب أن الذين مالأوا الطواغيت في قوتها وفي ضعفها في انتصاراتها الزائفة، وفي هزائمها الحقيقة هم اليوم أطول الناس لسانًا على الطواغيت بعد هلاكها.. بينما الذين لم يجودوا على هذه الطواغيت في حياتها بكلمة تزلف واحدة، بل واجهوها بإيمانهم هم اليوم أقل الناس نهشًا في أعراض هذه الطواغيت.. لأنها في نظرهم أصبحت أهون من أن يشهروا عليها لسانًا!!.

❑ وبعد.. فلعلي لم أقل غير الحق بالنسبة لأخي الشيخ فايد.. بل الحق إنني لم أوفه حقه كما ينبغي تاركًا لكتابه الذي بين يدي القارئ المسلم اليوم ليستكمل عني ما قصرت فيه!!.

واللَّه تعالى يقول الحق وهو يهدي السبيل..[1] محمد عبداللَّه السمان ـ القاهرة.

*** فقرات من مقال الزعيم أحمد حسين:**

في «مجلة الاعتصام» عدد رمضان ١٣٩٥هـ

❑ قال الأستاذ أحمد حسين:

في عهد الظلام. قاد الشيخ محمود فايد الحملة ضدهم وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين.

«في الفترة التي ساد الظلام والطغيان في الجزء الأكبر منها.. حيث كان

(١) وبالحق صدعنا في وجه الطغيان عالم أزهري حر يواجه السلطان الجائر بقلمه.. وقلبه ولسانه لمحمود عبدالوهاب فايد (ص١٧ ـ ١٨) دار الاعتصام.

الرجل قد يخرج من بيته فلا يعود إليه، ولا يعرف آله وذووه أين ذهب.. ثم طلب منهم أن يكفوا عن البحث عنه.

في هذا الجو المخيف الخانق الذي أرهب أشجع الشجعان، وجعلهم لا يتكلمون إلا همسًا إن هم تكلموا.

في هذا الوقت بالذات فتحت مجلة الاعتصام صدرها للشيخ محمود فايد الأستاذ بالأزهر، وعضو الجمعية الشرعية البارز، لكي يتعقب كل ما كانت الأمة المسلمة تراه ضارًا بدينها وكيانها..

ولما كنت في ذلك الوقت محتفظًا بصحتي فقد كنت من قرائها المواظبين، بعد أن بدأ ما تنشره من مقالات للشيخ محمود فايد يلفت الأنظار، ويتسامع بها الناس!!.

فطالعنا مقالات دبجتها يراعة الشيخ المؤمن (محمود فايد) تتعقب الدستور الجديد الذي صيغ للبلاد، ويقف أمام الكلمات المشبوهة، والصيغ التي أريد بها صبغ البلاد بالصبغة الحمراء.

وعندما فتحت البلاء على مصاريعها أمام الروس، وألوف ممن سموهم بالخبراء.. وقد كشفوا لنا أخيرًا عن هول ما جرى وقتئذ، وكيف دُعِيَ الروس ليكونوا قادة أسلحتنا.

ومرة أخرى كانت الاعتصام بالمرصاد، وامتلأت صفحاتها بمقالات الشيخ فايد تحذر.. وتنذر.. وتتعقب.. وهي في هذا كانت الصوت الوحيد الذي ارتفع.

وحدث في إحدى المرات أن انطلق رئيس الدولة ـ على أسلوبه في الحديث ـ فراح يطعن في المشايخ بدون أي تحرز أو تحرج فكان مما قاله:

«الشيخ من دول يرقع وزة ويروح فاقع فتوى». وهذا كلام لا يمكن بحال أن نخاطب به الدنيا كلها.. والمهم أن هذا كلام قيل وسمعته الملايين.. وليس إلا صوت الاعتصام من ارتفع بالاعتراض والاحتجاج..

فكتب الشيخ محمود يوجه الحديث مباشرة لرئيس الدولة.. وراح يسائله: لمصلحة من يقال هذا الكلام على فرض صحته؟.

ولفت نظر رئيس الدولة أنه في حاجة لتحقيق أي خير لمصر لهؤلاء المشايخ.. فما كان يصح بحال من الأحوال أن يؤذيهم هذا الإيذاء!!.

وحدث أن سقط رجل[1] اعتبر في وقتٍ ما أحد زعماء الأدب في مصر.. وضاعف في خطورة سقطته أنها جاءت على صفحات «مجلة الأزهر» وحتى هذه الساعة التي أخط فيها هذه الكلمات لا أرى فيها تعليلاً لهذه السقطة.. فوصفُ الرجُل بالنفاق لا يكفي لتفسيرها.. لقد كانت شيئًا أكبر من النفاق، وتلتبس بالكفر.. والتعليل الوحيد لهذه السقطة هو أن الشيطان أجرى على قلمه هذه العبارات الناطقة بالكفر ليكون في كتابتها ونشرها على صفحات «مجلة الأزهر» ابتلاء وامتحان من اللَّه للمسلمين.. وكان من الممكن أن يخيب المسلمون في الامتحان ويستحقون بذلك أن يحل بهم غضب اللَّه.. لولا أن قامت «مجلة الاعتصام» بواجبها فتحولت صفحاتها إلى شعلة من الغضب لدين اللَّه عز وجل ولرسول اللَّه ﷺ.. وتوالت برقيات الاحتجاج على ما قيل، وقاد «الشيخ محمود فايد» الحملة، وكتب كتابة من نار تحرق الكافرين.. وفي هذه المرة لم يجامل، ولم يلاين.. وإنما وصل إلى حد الهجوم السافر، والتحدي لرئيس الدولة نفسه.

وقبل أن أروي ما قاله الشيخ محمود فايد الذي أحفظه عن ظهر قلب برغم مرضي ومرور ما يقرب من اثنتى عشرة سنة على كتابته يجب أن أشير إلى ما قاله هذا الكاتب في سقطته..

❑ قال الرجل تعليقًا على ما تم من وحدة بين مصر وسوريا ما معناه:

«إن الوحدة التي أقامها سيدنا محمد والوحدة التي أقامها صلاح الدين قد انفرط عقدهما.. أما الوحدة الناصرية فباقية خالدة!!».

(١) هو الأستاذ «أحمد حسن الزيات».

فهاجم الشيخ محمود فايد كاتب هذه العبارات بكلمات تتعداه إلى رئيس الدولة وتتحداه.. وما زلت أحفظ مما قاله:

«إن الرئيس لو أنفق مثل أحد ذهبًا لما وصل إلى مُد أحد صحابة رسول اللَّه ﷺ فكيف بالرسول يا جهول!!».

وكان من الممكن أن يطيح ذلك كله بأسرة الاعتصام.. فضلاً عن الكاتب.. لولا أن صَدَقَ اللَّه وعده فدافع عن الذين آمنوا.. فقد حدث أن كل سفراء الدول الإسلامية احتجوا أن يقال هذا الكلام، ووجدت الدولة نفسها في مأزق فلم تجد أمامها إلا مجلة الاعتصام ترسلها إلى السفراء وتقول لهم: «رجل أخطأ ومجلة الاعتصام ردت عليه»[1].

أحمد حسين

*** شهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه:**

بقلم الزعيم أحمد حسين

فرغت لتوي من إعداد مقال بهذا العنوان بعثت به إلى مجلة «الاعتصام» ومحور المقال هو الحديث عن الرجل الذي قام برفع الحرج عن المسلمين في المدة من ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ ولولاه لأثم المسلمون جميعًا.. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات التي إذا قام بها البعض سقط الحرج عن الباقين.

وأشهد.. لقد قام عنا الشيخ محمود فايد بهذا الواجب.. فحيث دخلنا جميعًا في الشقوق لسبب أو لآخر وجد محمود فايد في مجلة «الاعتصام» ميدانًا ينافح فيه عن الدين ورجاله، وقد تمنيت على أصحاب مجلة «الاعتصام» أن ينشروا هذه الصفحات المطوية لتظل نبراسًا على مدى

(١) المصدر السابق (ص١١ ـ ١٦).

الأيام للمجاهدين والمصلحين، وكيف أن كلمة الحق لم تعدم نصيرًا لها يتحدى الطاغية في ذروة جبروته غير هيَّابٍ ولا وجل.. ولم أكن أدري أن اللَّه سبحانه وتعالى قد آذن بتحقيق أمنيتي.. فلم أكد أفرغ من كتابة المقال حتى بشرني المبشر بأن مقالات أخي وحبيبي وحبيب الملايين «الشيخ محمود فايد» سوف تجمع في كتاب، وأنني مدعوٌّ لأن أقدم الكتاب ببضع سطور.. ولقد أشرت في مقالي السابق إلى بعض المعاني التي تقال في هذا الصدد.. ولذلك أكتفي هنا بذكر ما لم أقله هناك.

*** اللَّه يضرب الكافرين:**

قلت: إن الشيخ محمود فايد غضب للَّه عز وجل، ولرسوله ﷺ عندما زلت قدما رجل اعتبر في يوم من زعماء الأدب في مصر فإذا به يسقط سقطة كبرى فيقارن بين عمل قام به سيدنا ونبينا محمد ﷺ.. وآخر قام به جمال عبدالناصر.. ورجَّحَ مَا قام به «جمال عبدالناصر» وزعم أن الوحدة التي أقامها بين (مصر وسوريا) أخلد وأدوم.. فكان أن رد «الشيخ محمود فايد» رده الذي احتفت به السموات والأرض.. لأنه لم يقف عند حد الرجل الذي سقط.. وإنما تعداه إلى الممدوح نفسه فوضعه في مكانه الصحيح.. وهو أنه لو أنفق ملء أحدٍ ذهبًا لما وصل إلى «مُدّ أحد الصحابة» وسيرى القارئ هذه الملحمة في حينها.

*** كرامة للشيخ محمود فايد:**

وفي مقالي لمجلة «الاعتصام» بينت آية اللَّه الكبرى.. وكيف دافع عن الذين آمنوا.. ولكني أذكر هنا كرامة خصَّ بها اللَّه سبحانه وتعالى عبده الشيخ محمود فايد.. وهو ما يجعلني أحبُّه الحبَّ كله، وأقدمه على نفسي، وعلى كل من عرفت.

فقد وقع الشيخ محمود في يد الزبانية من رجال السجن الحربي.. أي واللَّه.. السجن الحربي وهو في عنفوانه عندما كانت الناس تقتل من

التعذيب، وكانت الكلاب تنهش لحم المسجونين، والأعراض تهتك، وحيث كان ضرب مائة جلدة هو لونًا من ألوان التحية والود.. وسط هذا الجو وقع الشيخ محمود فايد بعد أن قال ما قال، وكتب ما كتب.. فإذا به يستغيث بربه فأغاثه.. فلم يَبتْ سوى ليلة واحدة في السجن الحربي، خرج بعدها معززًا مكرمًا تحفه المهابة والجلال.. وما قولك في أنهم ساوموه على أن يكتب ضد الإخوان المسلمين فرفض.. ولست في حِلٍّ من ذكر تفاصيل ما حدث.. وعسى أن لا يكون لديه مانع أن يروي ذكرياته عن هذا الحادث.. أما بالنسبة لي فالأمر في نظري كرامة مما يكرم بها اللَّه أولياءه الصالحين.. وقديمًا قال اللَّه عز وجل: ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وحسبي أن أشير إلى ما جعلته عنوانًا لأحد الفقرات من أن اللَّه عز وجل ضرب الذين كفروا.. وكانت ضربته أن قصم ظهر هذه الوحدة التي زعموا أنها أدوم وأخلد.

وبعد..

فما كانت غضبة محمود فايد إلى اللَّه ودين اللَّه.. لم يكن طالب شهرة أو منصب مما يسعى له السياسيون فيجازفون ببعض المواقف، بدليل أنه يعمل في خدمة دين اللَّه الآن وبعيدًا عن الأضواء بعد أن انزاحت الغمة، وسقطت عصابات الشيطان.. فهو يعيش الآن بجوار رسول اللَّه ﷺ في المدينة المنورة.. حيث يقوم بالتدريس في جامعاتها لمئات الطلاب الذين جاءوا من كل فج عميق ليكونوا في الغد مصابيح الهدى لأقوامهم، وما أسعدهم بجوار الرسول العظيم ﷺ وتلقيهم العلم على يد الشيخ محمد فايد.. ليتني بصحتي إذن لكنت معهم فأفوز فوزًا كبيرًا».

أحمد حسين

٣٦ حي الروضة ـ القاهرة
٧/٧/١٩٧٥م ـ ١٣٩٥هـ